13 me Année No. 639

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

Lundi - 1 - 10 - 1945

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات
الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٦٣٩ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٥ شوال سنة ١٣٦٤ — أول أكتوبر سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

رســـــالة إلى « الرسالة »

للأستاذ عباس محمود العقاد

فى رحلتى إلى السودان ، سمعت حديث « الرسالة » فى أول مكان طرقته من السودان ، وسمعته فى الساعة الأولى بعد الفراغ من مراسم الجوازات وتسجيلات الوصول

ثم لبثت أسمعه فى أندية البلاد كلما دار الكلام على الأدب والأدباء ، ولا سيما الأدب العربى وأدبائه المعاصرين

ولم تتغير العادة فى فلسطين

فقد سمعت حديث « الرسالة » فى كل نادٍ من أندية الأدب ، وسمعت إليها رسالة علنية فى أحفل جلسة من الجلسات الأدبية شهدتها فى مدينة يافا ، وهى مركز الحركة الصحفية والكتابية فى شواطئ أرض الميعاد

كانت الدعوة باسم اتحاد الأندية فى المدينة ، وهى تتسع منها لسبعة على ما أعلم ، تختلف أغراضها بين الثقافة والرياضة البدنية ومطالب الإصلاح والاجتماع

وكانت الدعوة إلى سهرة فى الهـواء الطلق بفناء النادى الأرثوذكسى ، وهو على ما سمعت أوسع فناء للأندية هناك

واتفقنا على أن تدور السهرة على المساجلة بالأسئلة والأجوبة فى الموضوعات التى يعنى بها الأعضاء ، وكلهم من الشبان المتعلمين أو الشابات المتعلمات

ويظهر أن الأديب الموكل بأمانة الاتحاد قد بسط على الأسئلة شيئاً من الرقابة الفكرية التى تخليها من كل شائك أو محرج من موضوعات الجدل والخلاف . فمرت الأسئلة الأولى بين سؤال لى عن أحب كتبى إلىّ أو سؤال عن الفرق بين فلسطين كما رأيتها فى زيارتى الأولى ، وفلسطين كما أراها فى زيارتى الآن ، أو أسئلة متعددة من هذا القبيل

ثم انتهت الأسئلة المكتوبة وبدأنا فى الأسئلة المرتجلة ، فما شككت فى أننى سأسمع على الأقل سؤالا عن الحب وسؤالا عن المنافسات الأدبية فى الأقطار العربية ، لأن الشبان كانوا أصحاب الكثرة الغالبة على الاجتماع

فأما السؤال عن الحب ، فقد كان محرجاً بعض الإحراج ، لأنه كان يتناول « الحب العذرى » ورأيى فيه ، وكان فى الجمع سيدات وآنسات ، وكان فيه شيوخ من رجال الدين ، لهم وقارهم المرعى فى كل مكان

قال السائل : يعتقد صديقك المازنى أن الحب العذرى غير موجود وغير معقول ، فما اعتقادك أنت فى هذا الموضوع ؟

فأردت التخلص وأحلت السائل إلى واجب الصداقة الذى يأبى علىّ أن أعرض لرأى أخينا المازنى بتفنيد أو تجريح ! وقلت له

فى مجلة ولهوجة : إن الحب الجنسى ينتهى إلى غاية جنسية ، وأما ما عدا ذلك من ضروب الحب فليس لها غاية غير الصداقة والولاء

ثم جاء دور المنافسات الأدبية فى البلاد العربية ، فكان لها نصيب فى أكثر من سؤال واحد ، وكان أهم الأسئلة فيها رسالة إلى « الرسالة » ، أو عتباً على المجلات المصرية — وفى مقدمتها « الرسالة » — لأنها تضن بالنشر والتنويه على القصائد والفصول التى تأتيها من أدباء فلسطين

وكان صاحب السؤال خطابياً فى لهجته ، عنترياً فى حماسته ، مؤمناً بصوابه فى عتبه ، ولعله كان ينطق بألسنة غيره ممن يعتبون مثل عتبه ، ويؤمنون مثل إيمانه

فأردت أن أصحح هذا الوهم الذى يغلو فيه بعض الدعاة إلى التفرقة من أذناب الدول الأجنبية فى الأقطار العربيـة ، وقلت ما أعتقد فى هـذا الصدد ، وهو أن الديار المصرية — بقرائها وأدبائها ومجلاتها — أبعد الناس عن الأثرة المنصرية فى مسائل الثقافة ، أو مسائل المفاضلة بين الأدباء والمؤلفين ، وذكرت للسامعين شاهداً من الشواهد التى يلمسونها فى فلسطين ، وهو تفضيل « مفكرات دجاجة » للأديب الفلسطينى الدكتور إسحق الحسينى على سائر الأجزاء التى ظهرت من سلسلة « إقرأ » لكثير من الكتاب المصريين ، وهى لم تنل هذا التفضيل بأصوات القراء من أهل فلسطين نفسها ، ولا بأصوات القراء من أبناء البلدان العربية الأخرى ، وإنما نالتها بألوف الأصوات التى وردت من البلاد المصرية ، وهى تربى فى عدتها على كل ماعداها من الأصوات

ثم قلت : إن الديار المصرية هى الميدان الذى اشتهرت فيه مؤلفات اليازجى وصروف وزيدان والشـدياق والحداد وأديب إسحاق والمعلوف وغيرهم من فضـلاء سورية ولبنان والعراق ، وإنها هى الميدان الذى طبعت فيه — أو راجت فيه — مؤلفات الريحانى ونعيمة وجبران ، وسائر كتاب العربية فى المهاجر الأمريكية . فليس أسرع من المصريين إلى تقدير الأدب العربى الذى يصل إلى أيديهم وأسماعهم ، وليس عليهم من عتب إذا قامت الموانع دون وصول هذا الأدب إليهم ، فقد يكون المرجع فى ذلك إلى نظام النشر والتوزيع

ثم أردت القضاء على مظنة الأثرة المنصرية فقلت : وبعد هذا ينبغى أن نذكر أن نصيب الأدباء المصريين والأدباء السوريين من تنويه الصحافة العربية فى مصر سواء ، وإن كثيراً من الصحف العربية فى مصر يديرها أناس من السلالة السورية ، فلا يتهمون فى هذا الصدد بالإجحاف والمحاباة

ولاح لى أن السامعين عارفون بمكان الصدق والصواب من هذا الجواب على ذلك السؤال ، ولكن صاحبنا السائل الخطابى لم يقلع عن عتبه ، ولم يزل مصراً على حقه هو فى نشر كل مايبعث به إلى « الرسالة » و« الثقافة » من المنظوم والمنثور ، فعاد يقول: إننا هنا لا نحفل بصحف الأخبار ولا بآراء الدهماء ، ولكننا ننتظر من أمثال الأستاذ الزيات والأستاذ أحمد أمين غير ما ننتظره من أصحاب تلك النشرات

وختمت الجواب واعداً بالتبليغ ، مزكياً موقف « الرسالة » و « الثقافة » فيما تنشران ، معتذراً من توجيه العتب إليهما فيما لم تنشراه ، لأنى لم أقرأه ولم أعرف مدى حقه من النشر والإهمال . فلعل اللوم على المرسل لا على المرسل إليه ! ... ولعل الصحيفتين المنصفتين قد أخلصتا للقراء فاستهدفتا لهـذا العتب من بعض الكتاب !

وانتهت السهرة بحادثة طريفة لا تخلو من دلالتها الأدبية . فإننا خرجنا من النادى بعد ختام الأسئلة والأجوبة ، فإذا بسيارة من السيارات التى وقفت على بابه ضائعة ، وإذا بها سيارة الكاتب المعروف الأستاذ عيسى العيسى صاحب جريدة فلسطين وشيخ الصحافة الفلسطينية

قال الأستاذ : سأعود عليك بطلب التعويض ، لأنك أنت المسئول عن ضياع السيارة ، فقد ترك السواقون سياراتهم ودخلوا النادى ليسمعوك ، وكانت سيارتى مطلقة الدواليب ، فوقع عليها اختيار اللصوص دون غيرها من السيارات

قلت : بل أنت المسئول عن محبة اللصوص إياك ، واختصاصك أنت بالسرقة دون سواك ، فلعلهم طمعوا فى مالك إكراماً لأدبك ، ولعلهم كافأوك بما استطاعوه على تعصبك للأدب ، حتى فى اختيار السواق !

ولطف الله بعض اللطف فى مشكلة التعويض ، كائناً من كان المطالب بالعوض ، لأن الشرطة عثرت على السيارة فى اليوم التالى مزوية فى بعض الطريق ... ولـكن بغير إطارات

* * *

ومما يذكر لفلسطين بالحمد والرجاء أن السياسة لا تشغلها كل الشغل عن مطالب الأدب والثقافة فى وقت من الأوقات

فهى اليوم لا تنى تتحفز وتتطلع ولا تكف عن التدبر فى مصيرها المنظور بعد الحرب العالمية : بين الصهيونية والانتداب والاستقلال والوحدة العربية ، وقلما تغشى مجلساً من المجالس لا يدور فيه النقاش على مسألة من هذه المسائل ، ولـكنهم لا يستغرقون وقتهم فى مسألة منها إلا وجدوا بين فجواتها متسعاً لحديث اللغة العربية والأدب العربى والأدباء العرب فى مختلف الأقطار ، وما إخالهم يبعدون الشقة بين موضوعات اللغة وموضوعات السياسة ، فإنما مستقبل فلسطين مستقبل العربية على أية حال

كنا نتحدث عن تقرير المصير وحرية الاختيار فى السياسة الوطنية ، فقلت : إن الله الذى حباكم بحرية الاختيار فى الجو والمناخ كفيل بأن يحبوكم بحرية الاختيار فى الحكم وشئون السياسة :

إننا فى مصر ننتظر الربيع أشهراً ، حتى نصل إليه ، ولـكنكم هنا لا تنتظرونه غير ساعة واحدة تنقلكم حين تشاءون من قيظ الصيف إلى نفحات الربيع

عندكم « أريحا » التى تذكر الناس بالمظلات فى صبارة الشتاء ، وعندكم رام الله التى تذكرهم فى لياليها بالمعاطف ، ولو كانوا فى أيام المصيف

وكنا فى طريق « رام الله » هذه حين استطرد بنا حديث المصير إلى حديث المصيف ، فسألنا : أى معنى يا ترى لهذا التركيب الذى لا نعرف معناه بالعربية ؟ أهى كلة عبرية أم آرامية ؟

ورجح الأستاذ السكاكينى أنها مخففة من « رام اللات »

وقال الأستاذ عادل جبر : إنهم جمعوا رامة على رام وأضافوها إلى الله ، وكأنها بذلك عربية أو آرامية تشبه العربية

والرامة فى اللغة العربية معروفة للمكان الذى يجتمع فيه الماء ، ولا سيما الروابى والهضاب ، وعندهم اليوم فى طريق بيت المقدس مواقع على هذه الصفة تعرف بالرامة على ألسنة السواد بق أنهم يعرفون الجمع فى الآرامية كما يعرف العرب جمع ساحة على ساح وراحة على راح وساعة على ساع وحانة على حان .

أما الدكتور موسى الحسينى ، فيرجح — على ما أذكر — أن أصل الكلمة « رام ايل » ، ثم تداولتها الألسنة العربية حتى صارت فى اللفظ الشائع « رام الله »

وهو رأى راجح ، لأن المواقع التى تنسب إلى « إيل » هناك غير قليلة ، ومنها « بيت إيل » الذى ينطقه العرب اليوم بيتين .

وكان القول الفصل أننا نستطيع أن نرجئ البت فى هذا الخلاف دون أن يفوتنا شىء من متاع الهواء الطلق والأصيل الجميل فى رام الله ! !

فأرجأنا البت فى الخلاف على ثقة من ذلك ، وتركناه حتى يفصل فيه أصحاب اللغات السامية ، إن راقهم أن يفضوه ولا يعلقوه مع غيره من أوجه الخلاف المعلقة فى أرض الميعاد

عباس محمود العقاد

(الرسالة) : لنا جواب عن هذه الرسالة فى العدد المقبل

الفيلسوف أمين الريحانى

قولان له فى البـــــلاغة

الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

أبعث إلى الفيلسوف الأستاذ أمين الريحانى بكتابى « كلمة فى اللغة العربية » ، وهو الخطبة التى خطبتها فى (دار الرابطة الشرقية) فى القاهرة فى اليوم الأول من ذى القعدة سنة ١٣٤٣ ، فتجيئنى منه رسالة فى يناير سنة ١٩٢٦ (٢٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٤٤) يقول فيها :

« سيدى الأستاذ إسعاف النشاشيبى (دام فضله)

وصلنى كتابك (كلمة فى اللغة العربية) ، قرأت (الكلمة) كلها متنها وشرحها نخيل إلى وأنا فى رياضها وأدغالها ، وأغوارها وأنجاده ، ودهنائها ومفاليها (اللفظة بدوية وأظنها صحيحة)[1] أنى أعيد السياحة فى البلاد العربية . وما وجه الشبه ؟ إن الجمال اللغوى جمالك لمثل الجمال البدوى ، وإن الفخامة فى ألفاظك لمثل الفخامة فى صوت ابن البادية ، وإن الروح فى مقاصدك لمثل العظمة فى خطواته . وكلها يا سيدى فى الكتاب وفى البادية مثل الوجوه (حال يحول) . نعم ، إن هذا الأسلوب فى الأدب مثل ذاك البدوى فى الحياة ، هو منظر عجيب يسترعى الأنظار ، فيدهش ، ويطرب ، ويحزن معاً . ولما ذا ؟ لأنه زائل . أحببت البدوى (والله) ، وكنت معجباً به ، ولكنى لا أستطيع ولا أحب أن أكون مثله . وأحببت (كلتك) ، وكنت وأنا أطالعها معجباً بها . ولكنى لا أستطيع ، ولو أحببت ، أن أكتب مثلها . لو كان لى أن أسوح فى البلاد العربية بعد خمسين سنة لما عرفت ، على ما أظن ، صديقى البدوى وقد تحضر أو تمصر . ولا أظن أن هذا الأسلوب أسلوبك يكون مألوفاً أو معروفاً بعد خمسين سنة . والحكم للمستقبل ، فقد يحكم على وعليك معاً . ولكننا فى غير الأسلوب متفقان . إنى مكبر أدبك ، محترم علمك ، محبذ دعوتك للمحافظة

(١) قلت : بدوية عصرية ... وفى رسالة الأستاذ ألفاظ تركت كما وردت .

على روح اللغة والصيغة العربية فيها . وأظن أنى من المحافظين ، رغم تجددى المخيف ، إذا اتخذت من ابن الأثير[1] ، وهو اختيارك ، مثالا أنسج عليه . ولكنك غاليت فى حب القديم ، غاليت يا رجل ...

إذا كان المثل الأعلى الذى تنشده يقطع الحبل بيننا ف (هنريك ابسن ونيتشه[2]) بصلاته وبوثقان العروة فيه .

والسلام عليك من (القابع[3]) فى داره ، البعيد عن (شجرة البغى[4])

المخلص

أمين الريحانى

ثم نتجادل بعد رسالته هذه فى شهر رمضان سنة ١٣٤٤ فى جريدة (الميزان) ، وهى صحيفة أدبية كان الأديب النابغ الناقد الأستاذ أحمد شاكر الكرمى — رحمة الله عليه — ينشرها فى دمشق :

« زين الشباب أبو فراس لم يمتع بالشــــباب »

ولقد فقد الأدب بغيبة أحمد شاكر الكرمى خيراً كثيراً كان يرتجيه من ذاك النبوغ[5]

أخبرنى مدير مدرسة فى مدينة الناصرة أنه سأل الأستاذ الريحانى حين مر بها عن سبب (المناظرة بينه وبين النشاشيبى) ؟ فقال : « أردنا أن نعلم الناس كيف يتناظرون » . ولهذا الجواب قصة أدع ذكرها اليوم ، وفى الطبعة الأخيرة للريحانيات إرشادة إلى شىء منها . وهذه نتف مما قلته فى الجدال :

« دع ذا ، وجىء الآن إلى قول الأستاذ : إن الإنشاء فن ،

(١) يشير إلى قول له فى كتابه (المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر) أوردته فى (الكلمة) .

(٢) يشير الأستاذ الريحانى إلي أشياء رويتها لفريدريك نتشه وإلى مقالات كتبتها فى سيرة هنريك ابسن وآرائه سنة ١٩١٣ م فى جريدة (المهذب) لصاحبها الخورى بولس الكفوري (رحمه الله) وكانت هذه الجريدة تنشر الأقوال النشوئية والحرة وما زاد على ذلك ...

(٣) يشير إلى قول لشاعر الجرمان الأعظم (غوته) رويته فى (الكلمة) وهو : من أراد أن يكون حراً فليقبع فى بيته .

(٤) يشير إلى مثل رويته في (الكلمة) وهو : (الناس شجرة بغي) قال الميدانى : وإنما جعلهم شجرة البغى إشارة إلى أنهم ينبتون وينمون عليه .

(٥) كان المأسوف على شبابه وآدابه قد بعث إلي من دمشق سنة ١٩٢٢ م برسالة مشتملة على قول فى البلاغة بليغ مبين . وسأتحف الأدباء بها إن شاء الله تعالى ..

والإفراط في الكلف بالفن خسران . وإن اللغة ذريعة واتخاذ الذريعة المقصد المنشود — ضلال . وقل له بعد تحية ثانية :

الحق أن اللغة لم تك إلا ذريعة ، وما هى إلا ابنة لغة الذى هواليوم أدنى من الإنسان (وإن لم يرأدسن الإنسان أعلى منه[1]) ولكن المرء قد تفنن فى هذه الذريعة (كما تفنن فى ذرائع الشر ...) فجاء منها الفن : جاء الشعر ، وجاء النثر ، وجاءت تلك الصفحات العبقرية . وراح ذاك الفن يتهادى مع سائر إخوته من الفنون الفتانة . والرقص من هذى الفنون . وإن الرقص لفاتن ، إن الرقص لفتنة ، وقد أضاف الدين كاتب أفرنجى ملعون إلى تلك الفنون ..

فإن قلنا : إن من اللغة فناً وجب أن نحتفظ بذاك الفن ، وأن نعنى به عنايتنا بغيره من الفنون ، وأنه لأحق بالترجيب والاهتمام به من غيره . وإن كان فن الموسيقى أو المصور مما يهذب نشء الأمة فالنثر القرآنى أعنى النثر العبقرى والشعر العلوى[2] أثرهما فى تهذيبهم أكبر

وإن عددنا الفن (كما عده كاتب أفرنجى يوم هاجت سرقة تلك الصورة La Joconde قومه) سخافة أو هذراً ، ورحنا نقول مع الزمخشرى : (الفنون جنون والجنون فنون) . جاز لنا أن نعد كل شىء فى الوجود سخيفاً ، وألا نجد لهذا الكون معنى، ولزمنا أن نبادر إلى الانتحار ، وندع الدارتنعى من بناها... لا ، لا ... إن هذا الحسبان خسران ، والرأى الحكيم الرصين أن نرى الجيد جيداً والجميل جميلا وأن نبتهج بمشاهد الكائنات مع المبتهجين معرضين عن مقالات شوبنهور وسائر المتشائمين منشدين فى كل حين :

« تمتع من الدنيا فإنك فانٍ »

« تمتع من شميم عرار نجد »

و (الدنيا — كما قال جار الله — عُمرى[3] ولا خلود إلا فى الأخرى) .

(١) يقول ادسن : إن الإنسان لم يزل فى الأفق الشنبزى ...

(٢) قال الزمخشرى : غنى النعمان بشىء من دالية النابغة فقال : هذا شعر النابغة ، هذا شعر علوى أى عالى الطبقة ، وقيل من عليا نجد .

(٣) من أعمره الدار إذا قال هى لك عمرك ثم هي لى (الأساس) .

فمن اللغة فن ، فى الإنشاء فن ، فلا تسألن الفصيح البليغ فى المقال أن يذر فصاحته وبلاغته وذا الفن أن يهجرفنه ، وينزل من عليائه إلى فنائه ، ويزايل عزلته ، ويماشى جماعته ، ويتبذل أسلوبه وهو يستطيع صيانته ، ودعه يفتن فى الإنشاء كيف شاء .

إن المتفنن فى الناس قليل ، وقد مات بالأمس (أناطول فرنس) ولا خليفة فى قومه له . وهذى حالة لا يصل إليها كل ساع فلا تخف من أن يكثر المتفننون ... وهؤلاء الرهط[1] فى الأمم هم سلوى المكروبين ، ومهذبو الطالبين ، وهداة المتأدبين ، وموقظو الهاجدين ، وقائدو الثائرين ، وبكلامهم نصقل الكتاب قرائحها » .

« كانت اللغة فجاء منها فن ، وهو لا يكون فى كل ضرب مما تخطه الأقلام ولن يكون . وأهله اثنان: الشاعر والأديب ولا ثالث لهما ، فدعهما يحدوان مع الحاد ، ويهيمان فى كل واد .

وفضيلة كلام (الشاعر والأديب) أو هذين المتفننين أوالفنانين[2] هوهذا الجمال الذى تلاقيه فيه ، ومع الجمال الوضوح كل الوضوح ، بل ليس الحسن إلا الوضوح . فمرغبى ومرغب كل من يتراءى برأى أن نصون هذا الرونق أوهذه الديباجة كما يصون الكريم ديباجتيه فلا يبذلها ... وقد أعلن الأستاذ الريحانى فى مقاله أنه يهوى الديباجة ، ولا ريب فى ميله هذا ، فكل شىء تنوقت الطبيعة فى تجويده يستهوى العاقل . ولن ننشد إن شاء الله فى يوم بيت المتنبى الذى أومأ الأستاذ إليه فى كتابه :

زودينا من حسن وجهك مادام (م) فحسن الوجوه حال تحول

فلن يحول جمال العربية ، ولن تزول ديباجتها ، وإذا استطاع القوم

(١) فى التاج : الرهط عدد يجمع من ثلاثة إلى عشرة أو من سبعة إلى عشرة . قال ابن دريد وربما جاوز ذلك قليلا . وفى الصحاح الرهط ما دون العشرة من الرجال لا تكون فيهم امرأة ..

(٢) مبالغة بنيت من فن ، وفى اللغة فن وتفنن وافتن وقد ظن أحد الفضلاء أن ليس فى العربية تفنن لأن المجد (رحمه الله) لم يذكرها فى (القاموس) وهى فى كلامهم وفي (اللسان والتاج) وفن فى (الفائق) ولم يؤخذ (الفنان) من الذى له فنون فى العدو الركض ... وهبه أخذ منه فهل فى الأمر من حرج ؟ وخطب (الفنان) أهون من خطب (السيد) وأصل هذه اللفظة فى اللغة معلوم ، ولا أحب ذكره اليوم هنا حتى لا يبرطم مبرطمون . . إن الناس ليسخطون ويلعنون حين يبحث الباحثون — والعلم الحق لا يرأف — في أصول الآدميين وأنسابهم وأصول مقالاتهم ولغاتهم . .
(المبرطم) المقطب المتغضب لكبره المتخاوص فى النظر .

في الغرب أن يجمّلوا بالكهربا الشنيمات ، فلن نعجز في الشرق عن الاحتفاظ ببهجة المليحات ... »

« يجمل مقتبس علم غربي يترجم مبحثاً أو يلفق قولا وهو لم يتخرج على أستاذ قادر ، ولم يقرأ كتاباً واحداً ، ولم يعرف أسلوب علمه اللغوي ، ولم يقف على ألفاظه ولا على بعض ألفاظه ، وتلقيه يَزحَر[1] وهو يكتب زحيراً ، ويلعن العربية التي جهلها لعناً كبيراً ، ثم يطرح بجهيض[2] يعمى الناظرين ، فإذا عيّيتَ جهيضه لا حالك ، وتهدّم على اللغة بالتنقيص »

« الأستاذ الريحاني فاضل نابغة تنكب عن طريق التقليد ، وأنكرت نفسه الرق العقلي فكدحت في تحريرها ، فلما حررها لم يستبد بخيره ، وأراد أن يشركه في الخير غيره ، فدعا قومه إلى حريته ، وانتحال عقيدته . ثم أبصر الأستاذ الغرب يطير ارتقاء وقومه العرب قد ألفوا الحضيض « آلف للحضيض فهو حضيض » كما قال أبو تمام ، فشق عليه أن يشهد ذل جهلهم وقد اعتز بالعلم خصمهم وآكلهم ، وتحقق أن الذى أقعد في العلياء الغرب هو علم الغرب فنادى إلى إيثار ذلك العلم ، وأشفق أن يعوقهم الاهتمام بالمهم أو غير المهم عن طلب الأهم فقال لهم : اجتزئوا من المؤنة اللغوية بزاد المسافر ، فلن يعذل وهذا قصده . والحق الذى يدريه الأستاذ الريحاني ، ولكن حرصه على الذى رآه أحق بالتقديم قد حمله على أن يتناساه هو أن الانتباه الأدبي في الأمم يسبق الانتباه العلمي ، فهذا بناء وذاك أساس . وإن الأمم العربية اليوم هي في وقت الترجمة . وعند الغرب علوم كثيرة ومباحث فيها دقيقة . وفرضٌ عين أن تنقلها العربية وأن يفقهها نشؤها ، ولن تفهم ولن تفيد حتى تصح ترجمتها ، ولن يستطيع احتواء تلك العلوم ومعانيها إلا اللغة القرآنية العالمية ، إلا اللغة الصحيح تركيبها الكثير لفظها التي ظل العلم القديم يلينها ويوسعها ويصقلها أحقاباً . وإذا لم توصل لغة علم اليوم بلغة علم الأمس ويستظهر بهذه فلا علم في هذا الزمان عند العرب . ومن ظن أن اللغة العامية وهذه التي هي فوق العامية تقدران أن تعيا علوم الغرب وتضم عباراتهما تلك المعاني الحديثة أو الجديدة فظنه (والله) عجيب ! »

* * *

(١) زحر وتزحر وهو اخراج النفس بأنين
(٢) أصله الولد السقط .

ثم أبعث إلى الفيلسوف بكتابي « البطل الخالد صلاح الدين والشاعر الخالد أحمد شوقي » وقد طبع سنة ١٣٥١ ، فتجيئني منه رسالة في ٢٦ شباط سنة ١٩٣٣ ، وقد ظهرت في (الرسالة الغراء) ٢٦٦ في ٣ رجب سنة ١٣٥٧ في الصفحة ١٤١١ من السنة السادسة

ومن قرأ رسالة الأستاذ الريحاني الثانية رأى أنه (قد استطاع أن يكتب عربياً عبقرياً ويجارى البلغاء) ، وأنه قد آمن بـ (بالكلمة) وصدّق بالبلاغة وفضيلتها وجمال القول وجودته وبكلام الإمام الرازي : « رب كلمة حكيمة لا تؤثر في النفوس لركاكة لفظها » ، فنسخ المذهب الجديد للفيلسوف مذهباً قديماً . ولو لم تفجع به العربية — وأعظم بفجيعتها بـ (بالأمين) — وعاش حتى اطلع على « دفاع عن البلاغة » لازداد إيمانه ويقينه ، وأيد (صاحب الرسالة) تأييد أنصاره .

* * *

(الزيات) إذا نثر ، مثل (شوقي) إذا شعر . ولقد أعطى الله مصر في هذا العصر إمارة الشعر وإمارة النثر . ولو بُعث (فلوبير) القائل : (أهون على المرء أن يُقنطر[1] ، وأن يسكن في قصر بندقيّ (فينيسيّ) منجّد من أن ينشئ صفحة واحدة عبقرية) وحذق العربية ، لأضاف إلى قوله هذا هذه الكلمات : (مثل الصفحات التي ينشئها الزيات) .

محمد إسعاف النشاشيبي

(١) قنطر الرجل ملك ما لا كثيرا كأنه يوزن بالقنطار .

من أحاديث المحبين

الموسيقى العاشق

للأستاذ علي الطنطاوي

قال لي أمس صديق حسني : إني لأعلم شغفك بالموسيقى ، وحبك الفن القديم ، فهل لك في سماع رجل هو أحد أعمدة هذا الفن في دمشق ومن أساطينه ، وهو هامة اليوم أو غد ، فاذا انهار أوشك ألا يقوم مثله أبداً ؟

قلت : ما أحوجني إلى ذلك ، فمن هو هذا الموسيقى الذي لا أعرفه إلى اليوم على ما ذكرت من إمامته وتقدمه ، وعلى معرفتي بأرباب هذا الفن ؟

قال : هو (ش) بك رجل تركي ، كان من موسيقى القسطنطينية أيام السلطان عبد الحميد ، وانتهت إليه رياسة (العود) فيها ، وله اسطوانات هي عند الموسيقيين ، كرسائل الجاحظ عند جماعة الأدباء ، واسمع فعندي واحدة منها

وقام إلى (الحاكي) فأداره ، ووضع اسطوانة عتيقة ، فسمعت شيئاً ما حسبت مثله يكون ، وبدا لي كل ما سمعت إلى اليوم من ضرب الموسيقيين كأنه إلى جانبه لعب أطفال ، وخربشة مبتدئين

قلت : ويحك قم بنا إليه الآن

فقمنا وأخذنا معنا شيخ الموشحات في دمشق الشيخ صبحي واثنين من مجودي المغنين ، وذهبنا إليه

* * *

ضربنا في الجبل حتى جاوزنا الدور الفخمة والقصور العامرة ، ووصلنا إلى طائفة من المساكن هي أشبه بأكواخ ، قد بنيت من الطين وقامت دُوَيْن الصخر ، فوقفنا عند واحد منها ، وقرع الباب دليلنا حسني كنعان ، ففتح لنا رجل طوال ، عريض الألواح ، حليق الوجه محمره ، ولكن الكبر ظاهر عليه ، قد جعّد وجهه وإن لم يحن ظهره ، ولم يهصر عوده ، ورحب بنا على الطريقة التركية ، يخفض يده ، ويلوح بها على أسلوب معروف ثم يمس بها طرف ذقنه ويرفعها إلى جبهته ، كأنه يقول : إني آخذ ذيل أحدكم فأقبله وأضعه على رأسي ، وبالغ في الترحيب بنا ودعانا إلى الدخول فدخلنا ، فإذا رحبته نظيفة ولكنها خالية من الأثاث ، ما فيها إلا أشباه كراسي ، وسدة من الخشب مفروشة ببساط هي السرير وهي المجلس ، وإذا الفقر باد ، ولكن مع الفقر ذوقاً ونظافة ... فقعدنا ، وحلفنا عليه ألا يصنع لنا شيئاً ، فما نريد إكرامنا منه إلا بأسماعنا ضربه ...

أخذ قيثارته (كمانه) وقسّم (تقاسيم) هزت حبة قلبي ، فأحسست بلذة ما عرفتها من قبل ، ومع اللذة شيء من السحر ، يجعلك تتطلع إلى المجهول ، وتسمو إلى عالم الروح ، ويوقظ فيك ذكرياتك وآمالك كلها دفعة ...

فلما انتهى ، عرض عليه حسني العود ، فأبى واعتذر وقال : إنه لا يضرب عليه ...

قال حسني : كيف وأنت سيد من جس عوداً ، وأنت إمام الضاربين !

قال : إنني لا أستطيع !

فلما ألحفنا وألححنا قال : إن لذلك قصة ما قصصتها على أحد ، فاسمعوها ، ولو أني وجدت ما أكرمكم به لما قصصتها عليكم ، ولكني لا أملك شيئاً ، ولن أجمع عليكم حرمان السماع وكتمان السبب ... !

* * *

وهذه هي القصة مترجمة إلى لغة القلم :

قال : كان ذلك منذ أمد بعيد نسيه الناس وأدخلوه في منطقة التاريخ المظلمة ، فلا يرون منه إلا نقطاً مضيئة مثلما يرى راكب الطيارة من مدينة يمر بها ليلا ، أما أنا فلا أزال أحس به بجوارحي كلها ، ولا يزال حياً في نفسي ، بل أنا لا أزال أحيا فيه ، وما عشت بعده قط إلا بذكراه . لقد مر على قصتي زمن طويل عندكم لأنكم تقدرونه بعدد السنين ، نصف قرن ...أما أنا فأقدره بذكراه الحية في نفسي فأجده ساعة واحدة ... لحظة ... إني أنظر الآن إلى عينيها ، وأشم عطرها ، وأجلس في مجلسها ... إن ما أراه حولي ظلال ، وتلك المشاهد هي الحقيقة . أفعلمتم من قبل أن ذكرى قد تَضِحُ وتظهر حتى تطمس المرئيات ، وتغطي على الحقائق ، هذه هي ذكرياتي ...

كان أبى من الباشوات الكبار المقربين من السلطان، فلما علم أنى اشتغلت بالموسيقى ، كره ذلك منى ، وصرفنى عنه ، وعاقبنى عليه ، فلما أصررت عليه ، أهملنى واطرحنى ، وطردنى من داره ، فلبثت أتنقل فى بيوت أقربائى وأصدقاء أبى ، أمارس تعلم الموسيقى لأبناء الأسر الكبيرة ، وكان (فلان) باشا من الآخذين بأسباب الحياة الجديدة ، يحب أن يقبس عن أوربة طرائقها فى معيشتها ويقلدها فى السير عليها ، فدعانى لأعلم ابنته ، وكنت يومئذ فى الثلاثين ، ولكنهم كانوا يقولون عنى : « إنه أجمل شاب فى حاضرة الخلافة » ... وأحسب أنى كنت كذلك ، ولكنى — ولست أكذبكم — ما عرفت طريق الحرام ، ولا الحلال استطعت سلوك طريقه !

قابلت الباشا ، فأدخلنى على ابنته لأعلمها ، فنظرت إليها ، فإذا هى ملتفة بـ (يشمق) من الحرير الأبيض ، لا يبدو منه إلا وجهها ، وإنه لأشد بياضاً وليناً من هذا الحرير ، لا البياض الذى تعرفونه فى النساء ، بل بياض النور ، لا ، لم أستطع الإبانة عما فى نفسى ، إنه ليس كذلك ، هو شىء ثمين عذب مقدس ، يملأ نفسك عاطفة لاشهوة ، وإكباراً لاميلا ، وتقديساً لارغبة ، وكانت عيناها مسبلتين حياء وخفراً ، تظهر على خديها ظلال أهدابها الطويلة فلم أر لونهما ، وكانت فى نحو السادسة عشرة من عمرها ، مثل الفلة الأرجة إبان تفتحها ...

وانصرف أبوها بعد ما عرفنى بها وعرفها بى ، وبدأ الدرس على استحياء منى ومنها ، ورفعت عينيها مرة ، فمشى بى منهما مثل الكهرباء إن لست سلكتها ... عينين زرقاوين واسعتين ، فيهما شىء لا يوصف أبداً ، ولكنك تنسى إن رأيتهما أن وراءك دنيا ... إنها تصغر دنياك حتى تنحصر فيهما ، فلا تأمل إن رأيتهما فى شىء بعدهما ... العفو يا سادة ! أنا لست أديباً ، ولا أحسن وصف الكلم ، ففسروا أنتم كلامى ، وترجموه إلى لسان الأدب ، وأين الأديب الذى يملك من الكلام ما يحيط بأسرار العيون ؟ إنه لعلم أوسع وأعمق من الفلسفة والكيمياء والفلك ... أعندكم فى وصفها إلا أن تقولوا : عينان سوداوان أو زرقاوان ، واسعتان أوضيقتان ، حوراوان دعجاوان ، وتخلطوا ذلك بشىء من تشبيهاتكم ؟ اعرضوا عيون الفتيات تروا أنكم لم تصفوا شيئاً ، هاتان عينان متشابهتان فى سعتهما ولونهما وأهدابهما ، ولكن فى هذه الجمال الوادع الحالم ، وفى تلك الجمال الشرس الأخاذ ، وفى أخرى العمق والرهبة ، وفى هذه الأمل ، وعين فيها فتنة ، وعين فيها خشوع ، وعيون فيها شىء لا تعرف ما هو على التحقيق ، ولكنه يبدل حياتك ، ويقلب عليك دنياك باللمحة الخاطفة !

ولما تكلمت سمعت صوتها كأنما هو ... مالى وللتشبيهات التى لا أحسنها ؟ وأين ما يشبه به صوتها ، وفيه الخفر وفيه الرقة وفيه فتنة وفيه رفاهية ؟ لا تعجبوا فإن من الأصوات الصوت المهذب والصوت الوقح ، والصوت المرفه ، والصوت البائس ؛ وصوتاً خليعاً وآخر صيناً . إن الصوت لينطق من غير حروف . ورب ناطقة بلا إله إلا الله ، وصوتها يدعو إلى الفحشاء ! وقائلة كلمة الفجور وصوتها ينهى عنه ! وإنك لتستطيع أن تتخيل المرأة من صوتها . ولم يكن فى زماننا هذا الهاتف (التلفون) ولكنى أعذر من أسمع عنهم أنهم يعشقون بالتلفون . فالأذن تعشق قبل العين أحياناً .

لم أجاوز الدرس ولم أقل فوقه كلمة واحدة . وكنت أشد منها حياء وخجلا ، ولم يكن أبناء زماننا أولى وقاحة وجرأة كهذه الجرأة التى تراها اليوم ، وندر فيهم من كان مثل (الباشا) يسمح لابنته الناهد أن تتلقى العلم عن الرجال — وهو يعلم أن الشاب والشابة فى الطريق أو المدرسة يتخاطبان بلغة العيون خطاب الرجل والمرأة ، قبل أن يتحرك اللسانان بحديث المعلم والتلميذة . وانقضى الدرس بسلام ، ولكنى لما فارقتها رأيت كل شىء قد تبدل ، فقد تعلقت بالحياة وكنت بها زاهداً ، ورأيت ضوء الشمس أشد نوراً ، وأحسست بالوجود من حولى وقد كنت أنظر إليه غافلا ، وكان لى أصحاب لم أكن أعدل بمجلسهم وصحبتهم شيئاً ففارقتهم تلك الليلة وهربت منهم ، وذهبت إلى غرفتى فلم أطق فيها قراراً ، ولا اشتهيت طعاماً ولا شراباً ، ووجدتنى أخرج على الرغم منى ، فأؤم دارها ، فيردنى بابها فأهيم حولها أوغل السير فى التلال الشجراء عند (بيوغلى) لا أستطيع النأى عن دارها . صارت هى كونى ودنياى ، قد تبدلت قيم الاشياء فى نظرى ، فعز ما كان منها أو يمت بصلة إليها ، وهان كل شىء سواه ، وانطويت على نفسى أفكر فيها وأتصور أدق حركة أو سكنة منها . وكلما ذكرتها

يهزّ شيء قلبي فيخفق كجناح طائر علقت رجله بالفخ ، ثم يندفع الشيء إلى عينيّ فيفيضان بالدمع . ولا أدرى كيف أمضيت ليلتي ، حتى إذا أزف موعد الدرس الثاني شعرت كأني عدت إلى جنتي التي خرجت منها ، وعشت ساعة في لذة لو جُمعت لذاذات الأرض كلها ما بلغت نقطة من بحرها . وعندما ودعتها نظرت إلى نظرة شكّت (وحرمة الحب) كبدي وزلزلتني زلزالا ، وكدت من سروري بها أطير فوق رؤوس النـاس خفة وفرحاً ، فقد علمت أن لي عندها مثل الذي لهـا عندي ، على أني ما كلّمتها في غير موضوع الدرس كلمة ولا لمست طرف ثوبها ، وما هي إلا نظرة واحـدة ولـكنها قالت فأبلغت ، وحدثت فأفهمت !

* * *

وسكت الموسيقي وجال الدمع في عينيـه ، ثم قال وهو يكاد يشرق بدمعه وقد ضاع في رنّة البكاء صوته :

أتدرون ما عمري اليوم ؟ أنا فوق الثمانين ، وقد مر على هذا الحب دهر ، ولـكني أراه كأنه كان أمس ، وأني لا أزال شاباً ينطوي صدره على قلب صبيّ . ولقد حسبت أني أستطيع أن أتحدث عنه كما يتحدث الشيوخ عن ماضيات لياليهم — فوجدتني لا أستطيع ، لا أستطيع فاعذروني إن هذه الذكرى قد خالطت شغاف قلبي ، ومازجت لحمي وعظمي ، وإني لأحسّ وأنا أحدثكم أني أمزّق جسدي لأستلّ منه هذه الذكريات !

قلت : فاخبرنا ماذا كان بعد ذلك ؟

قال : كان ما أخشى التحدث عنـه ، إني لا أحب الذكرى وأثيرها ، إنكم لا تدرون ما ذا تصنع بي ؟ إنها تحرقني ، تنتزع روحي …

كان يا سادة : أني تدلهت بحبها ، وهمت بها ، وجعلتها هي كل شيء لي ، إن كنت معها لم أذكر غيرها ، وإن فارقتها ذكرتها وفكرت فيها . فهي ماضي وحاضري ومستقبلي ، وهي ذكرياتي كلها وآمالي ، أراها طالعة عليّ من كل طريق أسير فيه ، وأرى صورتها في صفحة البدر إن طلع عليّ البدر ، وفي صحيفة (النوطة) إن جلست إلى (البيان) ، ومن سطور الكتاب إن عمدت إلى القراءة في كتاب ، فإذا جلست إليها والعود في حجري ، وعيناها في عيني ، وأذناها إلى عودي ، تخيلت أني معانقها هي لا العود ، وغبتّ عني ، وسمتْ روحي إلى عالم أعرفه ولا أعرف ما اسمه ، فرجعت منه بالسحر جَرتْ به يدي على العود ، فمن هناك تلك (الاسطوانات) التي كنتم تعرفونها لي .

لا ، لا تلحفوا عليّ (سألتكم بالله) ، لن أذكر لكم هذه التفاصيل ، إني انتزعها من لحمي ودمي ، فدعو هالي ، إنها حظي من حياتي أتعلل بها وحدي . لا أحب أن تلوكها الأفواه وبتلهى بها قراء المجلات . لقد كانت الخاتمة أن أصدقاء أبي عطفوا علي ، فخطبوها لي وكان العقد وصارت زوجتي ، ولـكن الله لم يشأ أن تتم سعادتي فمرضت ثم …

وغلب عليه البكاء ، فلم يستطع أن يخرج الـكلمة ، فأداها بإشارة مبتلة بالدمع ، محروقة بأنفاس الألم !

* * *

وسكتنا — فقال بعد هنيّة :

وقد ذهبت أودعها — فأخـذت يدها بيدي ، وكانت تلك أول مرة وآخرها ، كأني أنازع الموت إياها — وأسحبها منه :

— إنك غداً ، تحب غيري وتضرب لها على عودك .

قلت . لك عليّ عهد الحب ، لا نظرت بعـدك إلى امرأة ، ولا أجريت يدي على عود .

وسكت ، ونظر إلى العود كأنه يريد أن يعتنقه لينطقه بالمعجزات ، ويترجم به عن لواعجه ، ثم غلبه البكاء مرة ثانية فقام ، وانسللنا نحن واحداً بعد واحد ، وأغلقنا الباب ونحن نسمع نشيجه !

(دمشق) **علي الطنطاوي**

من وحي جويو

الحيـــاة ... !

للأستاذ زكريا إبراهيم

هؤلاء الفلاسفة الذين طالما عنينا أنفسنا بدراسة آثارهم وتتبع أفكارهم ، مابالهم قد حدثونا عن كل شيء إلا الحياة ؟ لقد ملأوا أسماعنا بأحاديثهم عن الفكر والوجود والعلة والقوة واللذة والغريزة ولكن أحدا منهم لم يحدثنا عن الحياة حديثاً شاملا مفصلا . أتراهم قد توهموا أن الحياة ليست شيئاً أكثر من الغريزة ، أو من حساب اللذات (على طريقة بنتام) ، أو من الأنانية وتقديس الذات (على طريقة نيتشه) ؟ ... ولكن ، لا ؛ إن الحياة شيء أكثر من هذا كله ، لأنها في جوهرها فيض وتوسع وامتداد . فإذا كان أبيقور يقول : « إن الكائن يمضي حيث تدعوه لذته » فإن في استطاعتنا أن نرد عليه بأن نقول : « كلا ، بل إن الكائن ليمضي مدفوعا من تلقاء نفسه ، ثم يجد اللذة في الطريق . فاللذة ليست هي الشيء الأول ، وإنما الشيء الأول والأخير هو الحياة » . والحياة تسير دون حاجة إلى قوة أعلى منها ، لأنها بذاتها حركة وقوة وإندفاع . فليست الحياة حساباً للذات ، كما زعم بنتام ، بل هي فعل ونشاط وفيض مستمر .

أجل ، إن الحياة لتنطوي في صميمها على مبدأ الامتداد والتوسع والخصب والانتشار . فالوجود الحقيقي إنما هو ذلك الذي يتمثل في تلك الحياة الخصبة المتلئة ، التي لا تألو جهداً في أن تفيض على الآخرين ، وتبذل من نفسها للآخرين ، وتشرك نفسها مع الآخرين . والكائن الحي ، إذا بلغ درجة كبيرة من الرقي ، فإنه يكون أشد نزوعا إلى حياة الجماعة ، لأن في هذه الحياة فيضاً وتوسعاً وامتداداً

والحياة لا يمكن أن تكون أنانية خالصة ، حتى إذا أراد المرء ذلك ؛ فإن ثمة ضرباً من السخاء يلازم الوجود دائماً ، وبدونه يموت الكائن الحي أو تذبل نفسه . فإذا أردنا أن نستبقي حياتنا كان علينا دائما أن نزهر ؛ ومازهرة الحياة الانسانية إلا الايثار والتضحية وبذل الذات

إن الذات التي يزعمون أنها مغلقة ، هي في الحقيقة مفتوحة ، وهي على إتفاق بالفطرة مع الذوات الأخرى ؛ بل إنها لتنفتح شيئاً فشيئاً ، وأكثر فأكثر . وإذن فالامتداد نحو الآخرين ليس معارضاً لطبيعة الحياة — كما توهم بعض الفلاسفة — وإنما هو على العكس من ذلك موافق للطبيعة ، بل شرط ضروري للحياة المليئة الخصبة . — والواقع أن محبة الآخرين لا تفترق أبداً عن الحياة الحافلة الفائضة ، لأن مثل هذه الحياة مثل الأمومة الواسعة التي لا تستطيع أن تقف عند حدود الأسرة . « إن ثدي الأم (كما يقول جويو) في حاجة إلى الشفاه النهمة التي تلتهمه وترتشف رحيقه الثر ؛ كذلك قلب الكائن الإنساني حقاً ، هو في حاجة أيضا إلى أن يرتمي الآخرون في أحضانه ، لكي يجدوا فيه الغوث والنجدة . بل إن في قلب المحسن نزوعا باطناً ، وميلا دفيناً ، نحو أولئك الذين يتجرعون مرارة الألم » .

أليست الحياة إذن إيثاراً وتضحية وبذلا للذات ؟ أليس جويو على حق حين يقول : « لي يدان : واحدة أصافح بها من أسير معه في طريق الحياة ، والأخرى أنهض بها من يعثر . وفي استطاعتي أيضاً أن أمد كلتا يدي لهؤلاء . » ؟ أليست الحياة العليا إنما هي تلك التي لا تألو جهداً في أن تفيض على الآخرين ، كما سبق لنا القول ؟

إن اللذات الدنيا هي وحدها التي تتسم بطابع الأنانية . فحيثما لا تكون هنالك غير قطعة واحدة من الحلوى ، نجد أن الطفل يريد أن يستأثر بها . أما اللذات العليا فإنها بطبيعتها لذات ليس فيها من الأنانية شيء .

قد يشعر الانسان بلذة فنية ، فهنا نراه لا يريد أن يستمتع بها بمفرده ، بل يريد أن يشعر الآخرين أنه يستمتع ويتذوق . فعند اللذة الفنية يريد المرء دائماً أن يعرف الآخرون أنه حي ، وأنه يشعر ، أو أنه يقاسي أو أنه يحب . إنه يريد أن يمزق نقاب الفردية .

والفنان الحقيقي لا يريد أن يكون بمفرده عند مشاهدته لشيء جميل أو عند اكتشافه لشيء عليه مسحة الصدق ، أو عند شعوره بعاطفة نبيلة .

أليس الفن للحياة وبالحياة فكيف لا يظهر فيه طابع الحياة مع أنه هو المعنى الباطن للحياة ؟ ألم يقل جويو إنني حينما أبصر الجمال ، فهنالك أود أن أكون اثنين (لا واحداً) » ؟ إذن فكيف

لا يكون الفن فى جوهرة مشاركة وتوافقاً ؟

إن الحياة الخصبة الحافلة هى أولا وبالذات حياة اجتماعية؛ فأينما فتشت عن الحياة، وجدت الإيثار والتضحية وبذل الذات والأنانية هى سلب للحياة نفسها، وإنكار لكل خصب وامتلاء؛ لذلك كانت الحياة الفائضة الطافحة، هى تلك التى تمثل الوجود الحقيقى .

وبعد هذا كله ليس فى وسعنا إلا أن يقول كل منا مع جويو : « أنا لست مالكا لنفسى ، فان كل موجود بدون الكل لاشىء ! » والإنسان لا يمكن أن يحيا أو يفكر أو يعمل ، إلا إذا كان ذلك للآخرين وبالآخرين ، ومع الآخرين !

(مصر الجديدة) **زكريا ابراهيم**

من الأدب القومي :

يوم ... ويوم ... !

للأستاذ شكرى فيصل

[إلى الذين يتساءلون : أين أنا ؟ ... إلى الذين عشت معهم ، فى غفلة الدنيا ، على مقاعد الجامعة ورحابها ...

— ١ —

شهدتك ، أيها الخفاق ، تتعالى فوق الثكنات الكبرى التى تحتاط دمشق ... واكتحلت عيناى بالأمل المزدهر على نسمات الريح وخفقات القلوب ... واستمعت إلى حفيفك الناعم يقص حديث السنين الخوالى ... ولم تتمالك عيناى ، أيها الخفاق ، أن تفترا عن الدمعات الندية التى لمحت من وراء غشائها الرقيق مراحل قصتك الدامية... لقد ذكرت فيصلا والملك ، والفرنسيين والهلك ، والصفحات الحلك السوداء التى جللت ثرى الوطن فاستعبرت ... والعبرات ، يا علمى ، العبرات التى كانت تنفر كالمزم الحديد فى عيون الآلاف المتحلقة من حواليك كل ما ملك الناس فى أصيل الرابع والعشرين من تموز

— ٢ —

وأين يوم من يوم ، أيها الخفاق ، منذ خمسة وعشرين عاماً آب الناس إلى بيوتهم تقطعهم الحسرات : الشهادات على أفواههم ، والجراحات فى أجسادهم ، والدماء من خلفهم ومن بين أيديهم ؛ ومُلك فيصل النضير يجتاحه الغزاة العتاة كما تجتاح الزوبعة الروض المرع ... واليوم ، بعد هذه السنين الطوال العجاف ، لا تظل البيوتات رجلا أو امرأة ، شاباً أو فتاة ... لقد خرج الناس تهزج لهم المنى ، وتغنى لهم الأحلام : الزغردات على أفواههم ، والعزمات ملء برودهم ، ومجد أمية من وراء العصور يتلألأ فى أذهانهم... ومضوا إعلاءً ون الطرقات إلى الثكنة المسكرية الكبرى ، إلى ثكنة « الحميدية » ، وانتشروا يتدفقون على عرض الدروب ، ويتدافعون على حفافى الشوارع ، ويتزاحمون على أطراف الأرصفة !

إنه يومك ، يا عَلمى ، كانت انتزعتك اليد الغاصبة لتحيل ألوانك ، وتخفت لمعانك ، وتمزق عروتك الوثقى ... ولكن من دمائنا بعض ألوانك ، يا علمى ، ففديناك ... ومن بريق أعيننا لمعانك خفظناك ... وعلى عُراك هذه الوثقى تآلفت قلوبنا والتقت أفئدتنا ... فكنت خفقتها التى لا تنى ، ونهضتها التى لا تفتر ، وعزمتها التى لا تكل !

— ٣ —

وحين وقفت هذه الجموع المؤلفة ، يا علمى ، كنا نحن ... هؤلاء الشباب المتفتحين على عبوس الأيام ، والمتقلبين فى كالحات الليالى ... نرمق ساريتك القائمة كالساعد المفتول ... إنها وحدها هى التى كانت قيد نواظرنا فلم نتحول عنها ... لم تأسرنا روعة المكان ، ولم تأخذنا ضخامة البنيان ، ولم تلهنا الآلاف المتدفقة ، فلقد استحال كل شىء فى نفوسنا بسمة تحييك ، وخفقة تناجيك ، وذكريات تواكبك ... وركزت أبصارنا فى شرفتك العريضة فى نظرات من الرجاء العريض ، والرغبات المستوفزة ، والأمل الوثاب ... ولم نعد نحن ... نحن الذين تعاورتهم السنون بالجدب ، وتعاهدتهم الحياة بالمصاعب ، وإنما رحبت بنا مطارح الأحلام ، وسمت بنا واسعات الأمانى ، وبُدلنا دنيا بدنيا أخرى ... فشهدنا فى نشوة لذة الأطلال الخرائب جنة ممرعة ، والأسى الغالب فرحة محققة ، والأحزان القيمة بهجة مونقة ... لقد تفتح لنا المستقبل عن وطن مهاب ، تملك ، أنت وحدك يا علمى ، أرفع ذراه ، وتتوسد أعلى رباه ، وتقف فى شم صخوره وشوامخه ، وتمر بك نسماته تضمخها بالمجد وتعطرها بالإباء ، وتبعث بها إلى هؤلاء

الذين يفتدونك طاهرة لم تلوثها خفقات غاصب ولا نفثات دخيل!

— ٤ —

وحين دخلنا ، يا علمي، باب الثكنة الكبرى ، كانت محاجرنا تفيض بالدموع ، ومن خلال ألقها الصافى كانت تنسحب الذكريات الحلوة المريرة : أولئك الذين استشهدوا على حفافى الوادى فى ميسلون ، وفى ثرى الغوطة فى دمشق ، وأرباض الجبل فى أرض بنى معروف ، ومعاقل الشمال فى حلب ... وهؤلاء الذين ذهب بهم الغدر فى الطرقات ، واستبد بهم اللؤم فى الشوارع ، وانتزعهم السلاح المعربد من فرشهم ... وجماعات وأفراد كانت السجون قبورهم ، والكهوف لحودهم ، والمنافى آخر عهدهم بالحياة ... وأمهات سبق إليهن الثكل ، وأطفال عدا عليهم اليتم ، وأسر باكرها الخراب ، وبيوت سطا عليها العذاب ... أولئك جميعاً كانوا كأنما تتمثل لنا مصارعهم فى سبيلك ، يا علمي ، فلا يبكينا الأسى ، ولا تنال منا الأحزان ، وإنما يبكينا أن تلفهم الأكفان الحمر قبل أن يشهدوا سناك الزاهى ، وجبهتك الناصعة ، ورفرفتك التى تحدث حديث المجد ، وتقص سيرة الكرامة ، وتروى نبأ الأبطال والبطولات !

— ٥ —

وفى الساحة الكبرى ، وقفنا نشهد — أيها الخفاق — ظفر الحق ، وانتصار العقيدة ... لطالما وقف فى هذه الساحة طغاة يرطنون ويعجمون ، ويصيحون ويصرخون ... لطالما جلدوا الأبرياء ، وأهانوا الأحرار ، ونكلوا بالمستضعفين ... لا النبل يهزهم ، فقد ذاب فى صدأ نفوسهم جوهر النبل . ولا الشرف يردعهم ، فقد ذهبت يد الظلم بحلية الشرف... ولا المشاعر الإنسانية تختلج فى أفئدتهم ، فلم يبق فيهم أفئدة تختلج فيها مشاعر ، وإنما هى مغاور تنفث السم ، وتتلظى بالكيد ، وتتوسل بالانتقام ...

واليوم ، اليوم يا علمي ، تشهد الساحة الكبرى خلقاً آخر وحفلا جديداً... إنها لا تحس وطء الأقدام ، ولا تقل النفوس ، ولا حلكة الظلم ... إنها لا تجد زمجرة الانتقام ولا استطالة البغى ، وليس عليها الساعة أوداج تنتفخ بالغيظ ، وعروق تتغزر بالحقد ... إنها تذكر ماضيها ، وتدرك أنها تعود للشعب الخير ، والجماعة النبيلة ... إن رمالها تتراقص ، وإنها لتتناغى فرحة طروباً كأنما تغنى معها الريح أروع الأناشيد : أنشودة الأرض حين تظفر بأبنائها الطيبين ... !

— ٦ —

... لن أنسى ، يا علمي ، هذه اللحظات الخاطفة ، حين امتد الزمان ، فغطى دمشق : ربيبته التى علمته الخلود ، بالصمت اللذ الناعم ، ونشر عليها رداء من السكون الهادئ العميق ... ثم بعث فيها صوتاً واحداً ، فيه الحياة عريضة كريمة ، وفيه الأمل ريان مخضلا ، وفيه الفرحة قوية عميقة ... وأثار فى ذراها خفقة عنيفة نشيطة ، خفقت معها قلوب ، وعاشت معها نفوس ، وازدهرت بها أمانى ، ما كان أقربها إلى الذبول ... فأما الصوت فصوت البوق البشير ، وأما الخفقة فتجاوبك مع الريح ، يا علمي الحبيب!

والآن ... حين أمضى أيها الخفاق ، فى هذا الشارع النضر المتسع الرحاب ، فى طريق « كيوان » و « الربوة » تتسق بى الخطى مع طائفة من رجالنا المخضرمين ... إنهم شهدوا فى مثل هذا اليوم وهذه الساعة وهذا الطريق ، الجيوش المعتدية الظافرة تدخل دمشق دخول الجبارين ، فأغمضوا أعينهم على القذى ، وشدوا قلوبهم على الألم ، وانطووا فى نفوسهم على حرقة لاذعة ! واليوم ... اليوم تكتحل أعينهم بالموقف الخالد ، فيشهدون الفرق الوطنية الظافرة تحفظ على دمشق جبروتها وكرامتها وعزتها . إنهم ليستعبرون عبرة الفرح ، وتتفتح قلوبهم على شذى «الغبطة» وتعود إليهم نفوسهم راضية جذلة ...

يا ما أمتع حديثهم ، يا علمي ، إنه حديث الصبر المظفر ، والعقيدة المنتصرة !

* * *

لعينيك ، يا علمي ، لألوانك الزاهية ، ونجومك الزاهرة ، وبريقك الحلو ... هذه العزمات المتدفقة كهذا النهر ، النقية كهذه السماء ، الرائعة كهذا المساء !

إنك بضعة قلوبنا ، يا علمي ، فاخفق فى ذرى الوطن حارساً وأميناً . ولتتحدث نسائمك إلى شهداء ميسلون تحمل لهم الحياة والفرحة ... !

(دمشق) **شكرى فيصل**

حاشية : هذا مقال كتبته وطويته ، وإنما أنشره مقال الأستاذ الطنطاوى فى العدد (٦٣٤) من الرسالة الغراء .

العلاقة اللغوية

Linguistic Relatonship

بقلم الأستاذ عمر رشدى

إن السؤال الذى غالباً ما يعنى الباحث الجنسى هو : هل لهذه اللغة علاقة بتلك أم لا ؟ ونقصد بالعلاقة هنا وحدة الأصل مثلما يجيء شقيقان من أب واحد ، فإذا ما اتضح أن هناك لغات واحدة المصدر كانت الشعوب التى تتخاطب بها — فى وقت ما — تكوّن شعباً واحداً . ومن ناحية أخرى إذا ما كانت لغات شعبين جد مختلفة يتحدان من الناحيتين : الجنسية والثقافية ، كما هى الحال فى المجر وجيرانهم ، فإنه يبدو أن عنصراً من هجرة متقطعة له علاقة بذلك ، فقد يضطر جزء من مجموعة جنسية أصلية إلى إدخال بعض التعديلات فى لغته تحت تأثير المرفة أو الحاجة أو الهجرة أو أى حادث تاريخى آخر مما يدعو إلى استبدال هذه اللغة بأخرى . وربما يكون العكس صحيحاً أيضاً ، إذ تكون المجموعتان متميزتين فى الأصل كل التميز ولكن تختلط ثقافتهما وتتزج على أثر تجاورهما وتزاوجهما حتى يصبح الجنسان الطبيعيان جنساً واحداً بينما تظل اللغات منفصلة متباينة . والإصلاح الذى يدل على أن لغتين أو أكثر لها أصل واحد وليس لها علاقة ما بلغة أخرى من اللغات هو « العائلة اللغوية Linguistic Family » كما أن كلمة « الكتلة اللغوية Linguistio Stock » تستخدم مرادفة لها .

هذا هو الأساس الجوهرى فى تقسيم اللغات ، واللغات التى قد يكون فيها تشابه ما فى الأسلوب أو فى البناء كالتصريف مثلا يجب أن توضع فى عائلة واحدة . والذى يعنينا هنا هو أن يستعمل اصطلاح « العائلة اللغوية » أو مرادفه « الكتلة اللغوية » للدلالة على أن مجموعة من اللغات موحدة الأصل ، أما المجموعات الأخرى فيشار إليها بعبارات أخرى .

لكى نتعرف العلاقة بين اللغات نلجأ إلى طريقة المقارنة ، فإذا تشابهت أساليب أو قواعد أو كلمات لغتين إلى الحد الذى لا يظن فيه أنه حدث لمجرد المصادفة ، فليس من شك فى أن هذه الكلمات المتشابهة ترجع إلى أصل واحد . وإذا لم يظهر بالمقارنة علاقة فيجب أن تصنف اللغات فى عائلات متميزة . وليس من الضرورى أن يدل عدم وجود العلاقة والتشابه بين لغتين على أنهما ليستا من أصل واحد ، لأن توالى الأزمنة كفيل بتغييرهما تغييراً يمحو أى تشابه بينهما ؛ وللخبير وحده أن يتبين العلاقة بينهما . وقد يبدو لنا أن بعض اللغات لا تتشابه مع أننا لو عدنا بالماضى القهقرى اتضح لنا وحدة أصلها ، وقد يرجع هذا إلى عدم معرفتنا تاريخ هذه اللغات أو كيف نحللها ونكتشف العلاقة بينها . وكثيراً ما يظهر — بعد الدراسة الدقيقة — أن مجموعة من اللغات ليس بينها تشابه ترجع إلى أصل واحد ، ففى مثل هذه الحال ما كان يعتبر عائلات لغوية متعددة هو فى الواقع عائلة لغوية واحدة .

ولكى نقدر التشابه بين اللغات فإن الكلمات التى نتخذها برهاناً يجب أن يتوافر فيها شرطان : أولا التشابه فى اللفظ ، وثانياً التشابه فى المعنى ، فالكلمة الإنكليزية eel والكلمة الفرنسية ile يتشابهان فى اللفظ ولكنهما يختلفان فى المعنى ، بحيث لا يمكن أن نرجعهما إلى أصل واحد ، فكلمة ile مشتقة من الكلمة اللاتينية insula بينما كلمة eel تمت بصلة إلى الكلمة الألمانية aal ، وهاتان الكلمتان insula و eel تختلفان فى اللفظ والمعنى فلا يمكن إرجاعهما إلى أصل واحد . وإذا فرض أن ضاع الأصل اللاتينى والألمانى ولم يكن يُعرف شىء عن تاريخ اللغتين الإنجليزية والفرنسية ، ولم يكن معنى ile جزيرة بل سمك أو ثعبان الماء … حينئذ يمكن أن نقول بوجود علاقة بينهما .

وهذه الحالات المشكوك فيها ناتجة عن أن تلك اللغات لم تدون عند بعض الشعوب ، ففى لغة أهل كاليفورنيا القدماء الذين يطلق عليهم اسم « يوكى Yuki » نجد كلمة Ko بمعنى go ، و com بمعنى come ولكن البحث أثبت أنه لا توجد علاقة ألبتة بين اللغة الإنجليزية ولغة كاليفورنيا ، فلا يدل وجود التشابه بين بعض الكلمات قطعاً على **وجود علاقة** بين اللغتين ، فكثيرا ما يصادف أن تشابه بعض الكلمات كلمات لغة أخرى فى اللفظ والمعنى ، وقد يرجع هذا إلى أن بعض اللغات تستعير كلمات لغة أخرى كما هى الحال فى اللغة الإنجليزية إذ نجد بها بعض كلمات فرنسية ولاتينية .

* * *

إن عدد العائلات اللغوية — من الناحية النظرية — ليس

أمراً مهماً فإن هـذا العدد لا يمكن أن يحدد ، وكلما تقدمت بنا المعرفة والعلم بدت لنا قوانين جديدة تعمل على توحيد تلك الكتل التي تبدو لنا الآن منفصلة . وفي كل من آسيا وأوربا اللتين تعتبران — من هذه الناحية — وحدة واحدة ، لا يتعدى فيهما عدد العائلات اللغوية أربعاً وعشرين ، وأهم تلك اللغات باعتبار عدد الذين يتكلمونها هي « الإندو الأوربية » Indo European أو الإندو الألمانية Indo Germanie أو الآرية Aryan Family وهذه تنتشر في جنوب غربي آسيا ، ومعظم — إن لم يكن — كل أوربا . وأهم فروع اللهجات الآرية هي الهندية والسلافية والألمانية واللاتينية . واللغات الأخرى هي : الإيرانية والأرمنية واليونانية والإغريقية ، والألبانية ، والبلطية والكلتية .

وقد انتشرت في هذه العصور الحديثة من أوربا العائلة الآرية كاللغة الإنجليزية والأسبانية والفرنسية والروسية إلى أقاليم أخرى مثل استراليا وأمريكا حيث يقطن معظم أراضيها شعوب تتكلم هذه اللغات . ويمتد توزيع اللغات الآرية على شكل حزام من غرب أوربا إلى شمال شرق الهند ، ولا يعترضها في الطريق سوى آسيا الصغرى التي حلت اللغة التركية فيها محل اللغات الآرية . كذلك احتلت اللغات التركية المنطقة التي في شمال بحر بلطق . ومما يضاهي اللغة الآرية من حيث عـدد الذين يتكلمونها اللغات الصينية Sinitic التي تنتشر في الصين الأصلية ، واللغات الألتية Altaic Stock التي تتمثل في اللغات التركية والمغولية والمنشورية وهـذه تنتشر في شمال ووسط آسيا وبعض جهات أوربا .

أما شرق أوربا وشمال غرب آسيا فهو موطن اللغات الأورالية Ural‑ic ولغـات الفينو Finons والهنغارية المجرية Magyars Hungarian . ويوحد معظم العلماء هذه الفروع الأورالية الثلاثة مع الفينو والساموبد ويضمونها في عائلة أورالية ألتية واسعة .

ومن العائلة السامية اللغة العربيـة ، وهي من أعظم اللغات السامية حياة وتمثيلا ، وتشبهها — كنصف شقيقة لها — اللغة الأمهرية في الحبشة . وكثير من الشعوب القـديمة كانت تتكلم اللغات السامية مثل البابليين والأشوريين والفينيقيين والقرطاجنيين والعبرانيين .

ومن اللغات الهامة لغة الدرافيدا في جنوب الهند ويبلغ عدد الذين يتخاطبون بها نحو من خمسين مليوناً ، وكذلك من اللغات الهامة لغة اليابان ولغة كوريا ، وقد تكون لغة أنام مستمدة من اللغة الصينية ولكنها تعتبر إلى حد ما مستقلة عنها .

(مترجم بتصرف) **عمر رشدي**

ليسانسيه في العلوم الجغرافية
من جامعة فؤاد الأول

على هامش الشعر السياسى

للأستاذ عبد القادر القط

لهذا الكتاب الذى أخرجه الأستاذ أحمد الشايب قيمة خاصة ، فمؤلفه أستاذ بكلية الآداب — ومؤلفات الأساتذة فى جامعاتنا تأخذ فى أذهان الطلبة صفة المقررات ، يحتذون منهجها فيما يكتبون من أبحاث ، وينظرون إلى حقائقها نظرة فيها كثير من الإيمان بصدقها وسلامتها . وهذا ما حفزنى للكتابة عنه قبل أن يبدأ العام الجامعى الجديد .

والشعر السياسى كغيره من ضروب الشعر فن من فنون القول ، له طابعه الخاص ومقوماته البيانية التى تميزه وتكسبه صفات ليست لسواه من فنون الشعر الأخرى . فإذا ألف مؤرخ أدب كتابا عن الشعر السياسى فإن من الطبعى أن يتحدث عن هذا الفن وكيف أثرت السياسة فيه وقادته إلى صور من التعبير ينفرد بها ، وجعلت أصحابه ذوى طابع فنى واضح يعرفون به دون سائر الشعراء أو يعرف به شعرهم السياسى دون بقية شعرهم . ولكن الأستاذ عكس الآية — كما يقولون — فتحدث عن السياسة والخلفاء والولاة والأيام والأحداث وأفاض فى ذلك كله حتى خرج كتابه تاريخاً لا يمت إلى الأدب بسبب سوى أن رجال هذا التاريخ كانوا يقولون الشعر .

وقد تفاءلت خيراً حين قرأت له فى المقدمة « أما المنهج العام لهذه الفصول فقد قام على أصلين أحدهما سياسى والثانى فنى » ثم عدت فتوجست شراً حين رأيته يسهب فى هذه المقدمة عن الأصل الأول ويقتضب الكلام اقتضابا عن الأصل الثانى ، وما لبث هذا الشر أن طالعنى فى كل صفحة من صفحات الكتاب

وحسب القارئ أن يعلم أن المؤلف قد كتب فصلا طويلا عن الشعر السياسى فى الجاهلية شغل به خمساً وستين صفحة ثم لم يكتب عن جانبه الفنى إلا هذه العبارة « والوصف العام لهذا الشعر أنه شعر العاطفة الصادقة والمعانى القريبة والخيال البسيط الجميل والعبارة السهلة الخالية من التعقيد ، مع حسن اختيار البحور العروضية» . أما كيف كانت هذه العاطفة الصادقة والمعانى القريبة ، وأما مظهر هذا الخيال البسيط الجميل وهذا الاختيار الحسن للبحور العروضية فشىء لا يعنى المؤلف فى كثير ولا قليل !

وحسب القارئ أن يعلم مرة أخرى أن فصلا ملأ سبعين صفحة من الكتاب قد ختمه المؤلف فى حديثه عن الصفات الفنية للشعر السياسى فى صدر الإسلام بقوله : « أما عبارات الشعر وصياغته الفنية فقد اضطربت بين القوة والضعف لأن الشعراء الذين شغلوا هذه الفترة مخضرمون أو مغمورون — والأولون تغير عليهم الجو فلم يستطيعوا مجاراته دائماً ، ومنهم من انصرف عن الشعر إلى القرآن ، والآخرون قالوه قطعاً فى مناسبات شتى ، على أن تأثير القرآن تأخر إلى الجيل الجديد » . أما كيف كان ذلك فلا يجيب الأستاذ عنه بزعم ولا يقين .

وأستميح القارئ أن يعلم للمرة الثالثة والأخيرة ختام فصل طويل عن شعر الخوارج : « ... وكان جديداً فى أساليبه الرقيقة السلسة الجزلة التى تعتمد على القرآن الحكيم كما رأينا قبلا لعمران ابن حطان حين قال :

فنحن بنو الإسلام والله ربنا وأولى عباد الله بالله من شكر

مضمناً قوله تعالى : إن أكرمكم عند الله أتقاكم . وقول عيسى ابن فاتك الحبطى :

هم الفئة القليلة غير شك على الفئة الكثيرة ينصرونا

فهذا معنى قوله تعالى : كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله»

وإذا كان هذان البيتان — فى ذوق المؤلف — جديدين فى أسلوبهما « الرقيق السلس الجزل » ، فقد فهمنا لما ذا يتنكب الحديث عن الجانب الفنى ويقتضبه فى عبارات مرتجة ؟ ! وما أيسر أن يقول المرء : هذا جديد ، وهذا قديم ؟ وما أيسر أن يأخذ من هذه الأحكام الشائعة فيقرأن الأدب الجاهلى أدب الفطرة السليمة وأن أدب الشيعة أدب حزين ، وأدب الخوارج أدب رصين . ذلك كله شىء ميسور ، ولكن مناقشة هذه الآراء وبسط هذه الأحكام ومعالجتها بالذوق المرهف والإحساس اليقظ فشىء لا يتيسر لكثير من المؤلفين . واقرأ له قوله فى « تلخيص » مذهب ابن قيس الرقيات تجد مصداق ما نقوله : « (٢) وبجانب ذلك تسود شعره السياسى عاطفة حزينة تشبه عاطفة الشيعة ولكنها لا تماثلها ، إذ كان حزنه على قومه وعصبته العامة ، وكان حزنهم على أنفسهم وعصبتهم الخاصة » . فقد حكّم المنطق حين كان يجب أن يحكم الذوق ، فأسلمته مقدماته الخاطئة إلى نتيجة خاطئة ؛ ولو قد قارن بين شعر ابن قيس وشعر الشيعة مقارنة فنية صحيحة لأدرك أن فن ابن قيس يفيض بالحزن الصادق واللوعة المريرة فى رثائه صرعى وقعة الحرة ، وفى بكائه أمر قريش وقد تفرق ، ولأدرك أنه فى ذلك يفوق بكثير شعراء الشيعة . ولكنه المنطق ، والمنطق الجاف !

فليس الشعر إحساساً نفسياً فحسب، ولكنه تعبير فني عن هذا الإحساس. وقد لا يكون الشاعر أرهف الناس شعوراً ولا أعمقهم حساً، ولكنه بموهبته يستطيع أن يحمل الألفاظ من الإيحاء ما لا يمكن أن يحملها إياه من هم دونه في الملكة والبراعة وإن كانت قلوبهم تتفتت من الحزن! فليبك الشيعة أنفسهم، وليبك ابن قيس قومه، فذلك لا ينقص ولا يرجح في ميزان الفن، وإنما يكون الترجيح بمقدار ما وفق الشاعر إليه من الإبانة عن فكره وعاطفته، وما بثه في فنه من صور بيانية وعبارات موحية. وليس السبيل إلى هذا الميزان الصادق أن يقول المؤلف في الحكم على فن ابن قيس: «يمتاز أسلوبه بالجزالة فلم يكن رذلا ولا سفسافاً على الرغم من إقامته بتكريت ومن طعن اللغويين على شعره ورفضهم الاحتجاج به». فذلك أشبه بهذه العبارات التي سئمنا سماعها من قولهم: «كثير الماء، مشرق الديباجة، حسن السبك».

لقد رفض اللغويون الاحتجاج بشعر الشاعر، فقد كان في شعره إذن خروج على ما ألفه اللغويون من الأساليب، ورفضت أنت حكم هؤلاء اللغويين؛ أفما كان لنا أن نسمع في إسهاب رأيك ورأى هؤلاء؟! وما الذي أخذوه عليه، وما الذي أعجبك منه؟ ولكن الأستاذ يكتب عن الفن في عبارات مرققة!

ولما كان المؤلف أستاذاً في الجامعة كما بدأنا القول، فذلك يمضي بنا إلى الحديث عن دراسة الأدب العربي في كلية الآداب، فالكتاب تنقيح لما ألقى المؤلف من محاضرات في هذا الموضوع

والأدب في قسم اللغة العربية بكلية الآداب يدرس على أنه وثائق تاريخية تصور ما كان في المجتمع العربي من أحداث. لذلك يختار الأساتذة أحفل الموضوعات بهذه النواحي التاريخية من أمثال الشعر السياسي ونقائض جرير والفرزدق، ويغفلون موضوعات لا تقل عنها شأناً وخطراً، ولعلها تفوقها بياناً وفناً، وتفتح للحديث عن مشاكل الشعر الفنية آفاقاً أرحب وأوسع. غاية الجهد أن يقسم الأستاذ النقيضة إلى أغراض: نسيب ونخر وهجاء. ثم يتحدث عما في هذه الأغراض من معان ويقارن بينها وبين ما ورد في القصيدة المناقضة، كل ذلك في منطق جاف، ونظرة عقلية محضة، وعبارات مرققة، لا يعرض لصور بيانية ولا لفظ جميل أو قبيح، ولا يصف إحساساً صادقاً أو زائفاً، ولا يوضح تقليداً ولا تجديداً

والطلبة يستمعون إلى هذه الدروس الجامدة في ضيق وملل، وينظرون فإذا إخوانهم في الأقسام الأخرى يتلقون دراسة حية للأدب تعنى أكبر العناية بالفن ومظاهره، وتقارن مقارنة دقيقة بين الشعراء، وتطلع على ما تصدره المطبعة كل يوم من كتب جديدة. ينظر الطلبة إلى هذه الدراسة الحية في الأقسام الأخرى، ثم ينظرون فإذا الأدب في قسمهم وثائق تاريخية، وإذا دراسة النقد الأدبي تقصر على طلبة الامتياز ابتداء من السنة الثالثة ليتلقوا نظرات جزئية في تاريخ النقد عند العرب تبدأ أولاها بأن النقد مشتق من نقد الدينار، أي اختبره ليتبين أزائف هو أم صحيح؟

ويشتد ضيق الطلبة بهذا الجمود، فيؤلفون من بينهم جماعات تدرس الأدب المصري الحديث وتراقب المطبعة العربية فيما تخرج من كتب، يلقى أحدهم بحثاً ويناقشه إخوانه فيه، ثم لا يجدون من أساتذتهم عناية ولا رعاية، ولا يكلف الأساتذة أنفسهم مشقة الاستماع إلى مثل هذه المحاضرات من تلاميذهم، بل إنهم ليوجسون خيفة من هذه المحاضرات، ويعتقدون أنها تصرف الطلبة عما ينبغي لهم من جد وما يجب عليهم من إخلاص نحو دراسة الشعر السياسي ونقائض جرير والفرزدق! راجت بينهم خرافة أن كلية الآداب تخرج علماء لا أدباء، وفاتهم أن عالم الأدب لا بد أن يكون في قرارة نفسه أديباً، ولا بد أن يتابع الآداب في نموها وتطورها، ويربط قديمها بحديثها، حتى يستطيع الحكم ببصيرة نافذة وإحساس صادق على ما يقرأ. راجت بينهم هذه الخرافة، فهم لا يطمئنون كل الاطمئنان إلى الطلبة الذين يبدون ميلا إلى دراسة الأدب الحديث أو المشاركة فيه بالإنشاء؛ تماما كما كان ينظر علماء الأزهر القدماء إلى الشيخ المرصفي وتلاميذه على بعد بين ما كان يدرسه تلاميذ المرصفي وما يدرسه الآن طلبة كلية الآداب. ولن يطمع طالب أن يستطلع رأى أستاذ في قصيدة نظمها أو قصة كتبها أو نقد لكتاب مما يقرأه الناس. لن يطمع طالب في ذلك ولئن فعل فلن يجد اهتماما، ولئن وجد اهتماما فلن يجد غناء!

إن أمثال هذه الدراسات الجافة المربكة التي يمثلها كتاب «تاريخ الشعر السياسي» لتصرف الناس عن قراءة الأدب العربي القديم وتزهدهم فيه، وخير لأساتذة الجامعة أن يروضوا أنفسهم على إرضاء النزعات الحديثة في نفوس طلابهم، فذلك ينفض عن الأدب العربي القديم ما أورثته هذه الدراسات من جمود

عبد القادر القط

٥ - نظـــرات

في دائرة المعارف الاسلامية

للأستاذ كوركيس عواد

(تتمة)

ونذكر تعليقاً على ما وَرَدَ في ١ : ٤١٢ ا ١٩ — ٢٣ أن كتاب « حلية الأولياء » لأبي نعيم الأصفهاني ، طبع في عشرة مجلدات « القاهرة ١٩٣٢ — ١٩٣٨) . وكذلك كتاب « صفة الصفوة » لابن الجوزى طبع في أربعة مجلدات (حيدر آباد ١٣٥٥ — ١٣٥٧ هـ) .

وفي ١ : ٥٧٢ ا ١٧ كان مفيداً أن يشار إلى كتاب «الحوادث الجامعة » لابن الفوطي . ففيه تفصيل وافٍ عن مجيء المغول إلى إربل .

وفي ٢ : ٨٠ ا ١٩ يضاف في الحاشية أن الدكتور فيليب حتى نشر كتاب « الإعتبار » لأسامة بن منقذ (برنستن ١٩٣٠) وهي طبعة تفوق طبعة درنبرج التي تقدمتها .

وتعليقاً على ما ورد في الأسطر الأربعة الأخيرة من ٢ : ٨٠ ب نقول إن الأستاذ أحمد محمد شاكر نشر كتاب « لباب الآداب » لأسامة بن منقذ (القاهرة ١٩٣٥) .

وفي ٢ : ٩٨ ب ١٣ يضاف في الحاشية أن كتاب « العبارة » (باري أرمينياس لأرسطوطاليس ترجمة إسحق بن حُنين) نشره بولاك J. Pollak في ليبسك سنة ١٩١٣ .

ونقول تعليقاً على ما ورد في ٢ : ٢٦٤ ا ٢ أن النصف الأول من « كتاب الزهرة » لأبي بكر محمد بن داود الأصفهاني ، نشره نيكل A. R. Nykl وابراهيم عبد الفتاح طوقان في بيروت سنة ١٩٣٢ بنفقة جامعة شيكاغو .

أما رحلة أبي الثناء الآلوسي (المتوفى سنة ١٢٧٠ هـ) المذكورة في ٢ : ٦٠٢ ا ١٣ -١٩ ، المسماة « نشوة المدام في العودة إلى مدينة السلام » فقد طبعت في مجلد واحد مع رحلته الأولى المسماة « نشوة الشمول في الذهاب إلى اسلامبول » (مطبعة الولاية ببغداد سنة ١٢٩١ و ١٢٩٣ هـ) .

ونعلّق على ما وَرَدَ في السطرين الأخيرين من ٢ : ٦٠٢ ب أن الكتاب الذي نال فيه السيد محمود شكري الآلوسي جائزة ملك السويد هو « بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب » . وقد طبع مرتين ، الأولى في بغداد (١٣١٤ هـ) ، والثانية في (القاهرة ١٩٢٤ — ١٩٢٥) كل منهما في ٣ مجلدات .

وفي ٢ : ٦١٩ ا ١٩ كان مفيداً أن يقال إن كتاب « المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء » للآمدي ، نشره كرنكو F. Krenkow مع كتاب « معجم الشعراء » للمرزباني (القاهرة ١٣٥٤ هـ) .

وفي ٢ : ٦٥٩ ب ٦ — ٨ ورد قوله : « ومما صنفه (أمين ابن حسن حلواني المدني ، المتوفى سنة ١٣١٦ هـ) مَطَالع السعود بطيب أخبار الوالي داود ، وهو كتاب في تاريخ داود باشا » . قلنا : إنه لم يصنّفه بل اختصره . فالأصل لعثمان بن سَنَد البصري المتوفى سنة ١٢٤٦ وهو لما يطبع ، إنما طُبع مختصره لأمين حلواني المدني في بومبي سنة ١٣٠٤ هـ .

وفي ٣ : ٥ ا ١٩ قرأنا قوله : « ورسالة (من تآليف أبي البركات الأنباري) تسمى الزهور ، ذكرها عبد القادر البغدادي في كتابه خزانة الأدب ، بلاق ١٢٩٩ ج ٢ ص ٣٥٢ س ١٤ » انتهى .

قلنا : ولما راجعنا خزانة الأدب في الموطن المشار إليه ، وجدناه يسميها « الزاهر » وهو ما يشاهد أيضاً في كشف الظنون (٣ : ٥١٩ لندن ، أو ٢ : ٣ استانبول) .

ونزيد على الأسطر الثلاثة الأخيرة من ٣ : ٤١ ا ما يأتي : وتلاه ليفي بروفنسال E. Lévi - Provençal فوضع قائمة أخرى بهذا العنوان أيضاً،وصف فيها طائفة من مخطوطات الاسكوريال» .

ومما قاله في ٣ : ٣٢٤ ب ١٩ — ٢٠ ولم يؤخذ صور فوتوغرافية لهذه النقوش (يقصد نقوش بافيان في شمالي العراق ، وقد مرَّ بنا ذكرها في بعض ملاحظاتنا) بعدُ» . قلنا : كان يمكن أن يذكر في الحاشية ما يلي : بل إنها صُوّرت بإتقان . وللاطلاع على تلك التصاوير راجع :

Bachmann : Felsreliefs in Assyrien. Bawian, Maltai und Gundük. (Leipzig 1927, PP. 1—22 ; PL. 1—17) .

Jacobsen and Seton Lloyd : Sennacherib's Aqueduct at Jerwan. (Bhicago 1935, PP. 44 — 49 ; PI. 13, 31 — 35).

وفى ٣ : ١٤٣٠ ا ١ نقول إن قصة إشتر هى — على ما فى التوراة — قصة أو سفر استير .

وفى ٣ : ١٤٩٨ ا ٨ كتاب التنبه (للمسعودى) سوابه : التنبيه .

وفى ٤ : ٣٩٩ ا ٢ ، كتاب الجواهر فى معرفة الجواهر . والصواب كتاب الجماهر فى معرفة الجواهر (وقد طبع فى حيدر آباد سنة ١٣٥٥ هـ) .

وفى ٤ : ٤٩٢ ا ١٧ كتاب مغارة الكنز . صوابه : مغارة الكنوز .

وذكر فى ٤ : ٥٠٤ ب ٧ أنه « قد حال كبر حجم مؤلف الصفدى (كتاب الوافى بالوفيات) دون طبعه إلى الآن » . قلنا : نشر المستشرق ريتر H. Ritter الجزء الأول منه فى استانبول سنة ١٩٣١ .

وفى ٤ : ٥٨٨ ب ١٠ كان يحسن أن يقال فى الحاشية إن كتاب « الإشارة إلى محاسن التجارة » لجعفر بن على الدمشق قد طبع فى القاهرة سنة ١٣١٨ هـ .

وفى ٥ : ١٣ ب ٢٠ يورد ذكر كتاب Hist. Mat وصوابه Hist. Nat وهو كتاب التاريخ الطبيعى الشهير تأليف پلينى .

رابعاً : الأعداد

وَرَدَ فى ١ : ١١٦ ب ٨ « وتوفى (سبط ابن الجوزى) عام ٦٤٤ هـ » . والصواب ٦٥٤ هـ راجع : البداية والنهاية لابن كثير (١٣ : ١٩٤) والسلوك للمقريزى (١ : ٤٠٩) والنجوم الزاهرة (٧ : ٣٩) وشذرات الذهب (٥ : ٢٦٦) .

وفى ١ : ١٥٠ ا ١٤ قال : جـ ١ وصوابه : جـ ٦ .

وفى السطر الأخير من ١ : ٣٢٤ ا ذكر عام ١٨٥٤ والصواب : أنه عام ١٨٩١ .

وفى ١ : ٣٨٩ ا ١٩ قال : جـ ١ وصوابه : جـ ٥٠ وقد نشأ هذا الوهم من أن الرقم كُتِب فى الأصل رومانياً هكذا L ، فظن المترجمون أنه I .

ومما لفت نظرنا بوجه خاص قوله فى ١ : ٥٧٠ ا ١٩ — ٢٠ « وهى (يقصد مدينة فى العراق) قرية صغيرة يبلغ عدد سكانها ٣٧٥٧ نسمة » . قلنا : هذا الرقم بعيد عن الحقيقة ، ولعل كاتب المقال نقل ذلك عن كتاب كوينه Cuinet المطبوع سنة ١٨٩٢ بعنوان Turquie d' Asie ويؤخذ من الإحصاءات الأخيرة أن نفوس إربل يبلغون ١٩٠٠٠ نسمة (راجع جغرافية العراق الثانوية لطه باشا الهاشمى . الطبعة الثانوية ، بيروت ١٩٣٩ ، ص ١٢١) . أما دائرة المعارف البريطانية (الطبعة الرابعة عشرة، سنة ١٩٣٧ ، مادة إربل) فتقول إن نفوس هذه البلدة ٢٥٠٠٠ نسمة .

وفى ٢ : ٧٩ ب ١٨ ذكر سنة ٤٥٤ هـ . وصوابها : ٥٨٤ هـ .

ومثله قوله فى ٣ : ٦٢٩ ا ٣ سنة ١٨٩٦ م وصوابها ١٨٧٦م .

ومما دوّنه فى ٣ : ٦٧١ ب ٢٥ — ٢٧ هذه العبارة : « ويتراوح عدد سكان هذه المدينة (مدينة البصرة) وفقاً للتقديرات المختلفة بين ١٨ ألف و٦٠ ألف نسمة ، والراجح أن التقدير الأقل هو الأصح » . قلنا : كان ينبغى التعليق على هذا القول الذى لا يحصّل منه حقيقة يركن إليها . وعندنا أن سكان هذه المدينة يبلغون الآن زهاء ٨٥٠٠٠ نسمة وهم فى تزايد مستمر .

وفى ٤ : ١٣ ا ٢٣ قرأنا باستغراب قول القائل « أما العراق ، فقطر مساحته ١٤٣٠٠٠ كيلو متر » . وهذا وهم . والصواب : أن مساحته ١٤٣٢٥٠ ميلا مربعاً ، أى نحو ٣٧٥٠٠٠ كيلو متراً مربعاً (راجع : مفصّل جغرافيّة العراق لطه باشا الهاشمى . بغداد ١٩٣٠ ، ص ٥٥٢) .

وفى ٤ : ٥٧ ب ٢١ ذكر ص ٢٩٦ . وصوابها : ص ٢٠٦

وفى ٤ : ٤٩٣ ا ٥ قوله : الطبرى المتوفى سنة ٢١٠ هـ . والصواب : سنة ٣١٠ هـ .

وكذلك ذكر فى ٤ : ٤٩٩ ب ١٨ أن وفاة الشابشتى سنة ٣٣٨ هـ . والصواب : أنها سنة ٣٨٨ هـ إذا أخذنا برواية ابن خلكان (وفيات الأعيان ١ : ٤٨١ بولاق الأولى) .

خامساً : الملاحظات المتفرقة

قال فى ١ : ١٤٧ ا ١٠ — ١٧ « فرغب الخليفة المقتدر فى العام التالى فى إقصائه وإحلال ابن أبى البغل حاكم الفارسية مكانه » .

ويلاحظ أنّ لفظة « الفارسية » في هذه العبارة تقابل لفظة Fars في الأصل الفرنجي . قلنا : الذي في تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء لهـلال بن المحسِّن الصابئ (ص ٣٤٠) أن « محمد بن أحمد بن أبي البغل ... كان يتقلد فارس » .

وكثيراً ما استعملت اللجنة (انظر مثلا ١ : ٢٢٧ ا ٥ و ٩ ؛ ١ : ٢٣٧ ب ٢٣ و ٢٤ : ١ : ٢٨١ ب ٤ ؛ ١ : ٢٨٢ ا ٦ و ٧ و ٨) لفظة « البطريك » في محل « البطرْيَرْك » أو إحدى اللغات الواردة فيها كالبطريق أوالبطرك أو البترك أو الفطرك أوالفطريك أو الفطريرك . فلو اتخذت أحـد الألفاظ لأصابت كبد الحقيقة في تعريبها لفظة Patriarch الدالة على الرئيس الديني الأعلى عند النصارى . بخلاف البطريق Patrician التي تدل على رتبة شرف عسكرية عند الرومان .

وقد وقفنا في هذه اللحظة على نبذة ثمينة كتبها العلامة الأب أنستاس ماري الكرملي في مجلة الثقافة (العدد ١٩٣ ص ٩٩١ — ٩٩٢) أوضح فيها الفرق بين البطريرك والبطريق .

وفي ١ : ٣٧٧ ب ٢٥ وَرَدَ قوله : « وقد حاول أبو العتاهية أن يجد حلاً لمعضلة الأثنينية » . وهذه الكلمة الأخيرة تعريب اللفظة Dualisme الواردة في الأصل . قلنا : عرف الأقدمون من كتبة العرب هذه اللفظة ، فقالوا فيها « الثنوية » . راجع : الآثار الباقية للبيروني (ص ٢٠٧) والملل والنحل للشهرستاني (١ : ١٨٨ طبعة كيورتن في لندن سنة ١٨٤٢) واعتقادات فِرَق المسلمين والمشركين للرازي (طبعة علي سامي النشار ص ٨٨ — ٨٩) .

وقال في ٢ : ٢٦٤ ب ١٤ « وجعله (هرون الرشيد جعل الأصمعي) مؤدباً للأمير » . قلنا : الذي في الأصـل الفرنجي « وجعله مؤدباً لابنه الأمين » .

وقد وجـدنا المعلومات الواردة في ١ ٥٧٤ ب ١٤ — ١٦ قديمة لا يمكن أن يؤخذ بها ، وكان يحسن التعليق عليها بما يقربها من الحقائق المعروفة في وقتنا .

وفي ٣ : ١١١٢ ا ٥ الحفيض . صوابها : الحضيض وهو من أوهام الطبع .

وقد لاحظنا في ٣ : ٢٠٠ — ٢٠١ نقصاً ظاهراً بين هاتين الصفحتين في سياقة المتن الوارد ، فلعله سقط شيء من العبارات .

وفي ٣ : ٣٠٧ ا ١١ الثقاة . صوابها : الثقات . ولعل هـذا من غلط الطبع .

وفي ٣ : ٣١٠ ا ٣ قرأنا موضوعاً بعنوان « بالية » . والذي في الملل والنحل للشهرستاني (٢ : ٤٤٠ كيورتن) : « البَـلِيَّة » .

وفي ٣ : ٤٥٠ ا ٣ وردت لفظة بدري . والمشهور أنها بادري .

وفي ٣ : ٦٨٨ ا ٢٣ المنديان . والصواب : أن يقال فيها المندائية .

وفي ٣ : ٦٨٨ ا ٢٤ ورد اسم « الصُبّاء » . وكان يليق القول إن هذه التسمية من تصحيفات العوام في العراق ؛ أما في المراجع القديمة فقد عُرِفوا باسم « الصابئة » .

وفي ٤ : ٣٩٠ ب ٢٠ ضُبطت لفظة كَلَّك بتشديد اللام . والصواب بالتخفيف وزان حَـلَب .

وقال في مادة « التجارة » ٤ : ٥٨١ ا ٥ : « انظر اللفظتين السريانيتين[1] تكرا و » وقدسهما عن ذكر اللفظة الثانية ، وهي على ما في الأصل : تاكراً .

الختـام

هذا أهم ما تراءى لنا مصحفاً أو مفتقراً إلى تعليق وإيضاح . وهنالك عدد لا يحصى من أغلاط الطبع ، تسربت إلى الألفاظ العربية والفرنجية ، ضربنا عن ذكرها صفحاً لضيق المقام ولعدم خفائها على أكثر القراء .

وإظهاراً للحق نقول إن ما أوردناه ليس إلا هنات هيّنات بالقياس إلى الأتعاب الكثيرة التي بذلها المترجمون الأفاضل والعناية الفائقة التي صرفوها في إبراز هذه الترجمة بثوبها القشيب ، ذلك على كثرة ما يعترضهم في هذا السبيل من العقبات وثقل التكاليف . ونحن نسأل الله أن توفّق اللجنة لمواصلة هذا العمل الجليل فنراه يوماً ما — وهو ليس ببعيد — قد أوفى على التمام والكمال ، وأضحى مرجعاً ثميناً ومنهلا عذباً لطلاب البحوث الشرقية .

(بغداد) **كوركيس عواد**

(١) هما في الأصل بالارمية ، لكننا كتبناها هنا بالعربية ، ظنا منا أن الحروف الارمية غير متيسرة في مطبعة الرسالة .

نظرية كونفوشيوس الدينية

للأستاذ أبو بكر هو غانجين الصيني

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

وكان يعيب على من قدم القرابين إلى أرواح غير آبائه . يقول في الفصل الثاني من كتاب الحوار :

« من قدم القرابين إلى الأرواح التي لا تستحقها فهو متملق، ومن رأى الصالحات ولم يعملها فهو جبان » . وكان يقدم الآلهة والأرواح على نفسه ويفاخر بمن عمل بهذا المبدأ . يقول في الفصل الثامن من الكتاب :

« ما عرفتُ في الملك يُو مثلبة فإنه كان يتناول من المطعم والمشرب الشيء البسيط ويقدم إلى الأرواح والآلهة ما هو في غاية اللذة ، وكانت بذلته ثياباً أخلاقاً وكانت ملابسه الخاصة بالشعائر والطقوس في غاية الجمال ، وكان يسكن في بيت حقير ويبذل قصارى جهده في حفر الترع والخنادق . ما عرفتُ فيه مثلبة » .

لكن كونفوشيوس لا يحب أن يتملق الإنسان أرواح الأموات والآلهة بكثرة القرابين وشدة التقرب إليها بل يجب الابتعاد عنها :

« سأل فان جيه أحد تلاميذه عن الحكمة فقال له الأستاذ : الحكمة هي القيام بالواجبات للمجتمع الإنساني والاحترام لأرواح الموتى والآلهة مع الابتعاد عنها » . السادس من الكتاب .

وكان يرى تقديس الآلهة بالإخلاص والامتثال لأوامرها بالتحلي بالفضائل والاجتناب عن نواهيها بالتخلي عن الرذائل :

« لما اشتد مرض الأستاذ طلب منه تسِ لو (أحد تلاميذه) أن يسترحم له الآلهة فقال الأستاذ هل في ذلك أصل ؟ فأجابه : نعم ، لقد ذكر في كتاب التكهن القديم : « أسترحمُ لك آلهة السماء والأرض . قال الأستاذ : لقد استرحمتُ منذ زمن بعيد » أي بالفضائل والآداب التي يتخلق بها (السابع من الكتاب) .

وكان يرى احترام الموتى كاحترام الأحياء بل احترام الأحياء أوجب وألزم من احترام الأموات :

« سأل جي لُو (أحد تلاميذه) عن خدمة أرواح الموتى فقال له الأستاذ : لم نقدر على خدمة الأحياء فكيف نقدر على خدمة الأموات ؟ وقال جي لو : أسأل حضرتك مجترئاً عن الممات . قال الأستاذ : لم نعلم الحياة فكيف نعلم الممات ؟ » الحادي عشر من الكتاب .

٥ – نظرية كونفوشيوس في الإله الأعلى : السماء :

يحكي كونفوشيوس عن نفسه أنه يعرف قضاء الله وقدره وهو ابن خمسين (الفصل الثاني من كتاب الحوار) فكانت أعماله حينئذ لا تخرج عن أوامر الله وحدوده أبداً ، وكان يقدسه أعظم تقديس ويتقيه أشد تقوى ، وكان يتخلق بأخلاقه ويمثل صفاته في حركاته وسكناته ، وكان الله مثلا أعلى في أعماله في حياته ، وكان كل تعاليمه مبنية على معرفته في السماء معرفة تامة واعتقاده فيها اعتقاداً جازماً ما كان يتصدى لتعليم الناس ونشر الحق في العالم ، فالله مصدر علمه وغايته الأسمى :

« قال الأستاذ : أريد ألا أتكلم . قال تس كونغ . إن لم تكلم حضرتك فماذا نروي عنك نحن معشر التلاميذ ؟ قال : هل تتكلم السماء ، إنما تتعاقب الفصول الأربعة وتنشأ الأشياء متوالية ماذا تقول السماء ؟ » السابع عشر من الكتاب .

« قال الأستاذ : واهفاه ! لا يعرفني أحد . فقال تسُ كونغ : ماذا تعني حضرتك بعدم معرفة أحدٍ لك ؟ قال الأستاذ : لا أتذمر من السماء ولا أتفجر بالناس وإنما أدرس الأمور السلفية لأصل بها إلى الأمور العلوية لعل الذي يعرفني هو السماء ! » الرابع عشر منه .

يسعى الفيلسوف كونفوشيوس لتعليم الناس وهو يعلم أنه لا يعرفه إلا الله فلا يجزع ولا يغضب إذا قامت العراقيل في نشر الحق ولا يتأخر في ذلك ما دام الله معه .

تأسف كونفوشيوس كثيرا جداً حينما توفي يين يُونْ نابغة تلاميذه يقول : وا أسفاه لقد توفتني السماء ! لقد توفتني السماء ! وإنما قال ذلك لأن الحق قد فقد أحد ناصريه وأشد دعاته وأقوى ناشريه وأصدق عامليه لكنه يستسلم لقضاء الله وقدره لا يجزع ولا يفزع يقول في الفصل العشرين من كتاب الحوار :

« من لم يعلم القضاء والقدر لا يمكن أن يصبح رجلا كامل الخلق » .

« يقول تسي هسيا : إنني قد سمعت أن الحيـاة والممات كلها بالقضاء والقدر ، والمال والجاه كلها في يد السماء » . الثاني عشر من الـكتاب .

يعتقد كونفوشيوس بوجود الله القادر المريد الذي قدر الأشياء في الدنيا لا يغيرها إلا هو :

« قال الأستاذ : إن انتشرت سنتي كان ذلك من القضاء والقدر وإن ضاعت سنتي كان ذلك من القضاء والقدر، فماذا يستطيع كُونْغ پِيْ لِيُو[1] أن يعمله مع القضاء والقدر ؟ » الرابع عشر منه .

ويعتقد الأستاذ أن الإنسان الصالح يجب أن يتقي قضاء الله وقدره ، ومعنى ذلك أنه لا يعصي أوامره ولأجل أن أقوال الأنبياء والكبار مبينة لأوامر الله كانت الأقوال يجب أن يعمل بها أيضاً :

« قال كونفوشيوس : للرجل الكامل الخلق مخافات ثلاث : مخافة القضاء والقدر ، ومخافة كبار الدولة ، ومخافة أقوال الأنبياء . وأما الرجل النـاقص الخلق فلا يعرف القضاء والقدر ولا يخافه ويزدري بكبار الدولة ويستهزىء بأقوال الأنبيـاء » السادس عشر منه .

٦ — صفات الله في نظر كونفوشيوس

إذا دققنا البحث فيما اعتقده كونفوشيوس في الإلـه الأعلى — السماء — فيما يحتويه كتاب الحوار وجـدناه يصف الله بالصفات الآتية :

(١) يعتقد أن الله قادر مدبر جبار عزيز لا يغير إرادته أحد ولا يقدر أحد على مخالفة القدر والقضاء :

« قال الأستاذ : قد خلقت السماء في نفسي هذه الفضائل فأي شر يمكن أن يريده بي هوان طي[1] ؟ » السابع من الـكتاب .

« لما وقع الأستاذ في الخوف من أهل كوانغ[1] قال :

ألم تكن الثقافات والآداب عندي هنا بعد أن توفي الملك ون ؟ إن كانت السماء تريد أن تضمحل هذه الثقافات والآداب ما كان لي نصيب منها وإن لم تكن تريد أن تضمحل هذه الثقافات والآداب فماذا يمكن أهل كوانغ أن يعملوا بي ؟ » .

تبين مما سقناه أن كونفوشيوس كان مضطهداً لأعدائه أعداء الحق لـكنه يعرف أن الله معه وأن الحق لابد أن يظهر وإن كره الـكافرون المنكرون ، وأن ما أراده الله وقدره لا يمكن أن يتغير ويتبدل ، وأن قوة الإنسان وإن بلغت أشدها لا يمكن أن تحول إرادة الله وقدره أبداً ، وهذه العقائد راسخة في نفس كونفوشيوس دافعة إلى العمل من دون جزع ولا خوف وهي عقائد دينية متينة .

(٢) يعتقد أن الله عليم بكل شيء لا ينخدع ولا يغتر :

« لما اشتد مرض الأستاذ جعل تس لو يمثل تلاميذه خدماً له رسميين . ولـما تناقص مرضه قال : طالما يخدع تس لو . ليس لي خادم رسمي فإن تظاهرت بأن لي خدماً رسميين فمن ذا الذي أخدعه ؟ هل أخدع السماء ؟ » التاسع من الـكتاب .

(٣) يعتقد أن الله يجزي الأعمال إن خيراً فخير وإن شراً فشر . وإن كانت الأعمال موافقة لأوامر الله وإرادته كانت خيرا وإلا كانت شراً فيجزي الأولى بالسـعادة والنعيم في الدنيا والثانية بالعذاب والشقاوة فيها :

« لما زار الأستاذ الأميرة نانْ تس (المشهورة بفسادها) سخط تس لو فحلف الأستاذ قائلا : لو ارتكبت ما لا يليق غضبتْ عليَّ السماء ! غضبتْ عليَّ السماء ! » السادس من الـكتاب .

هذا الـكلام إنما يدل على أن الأمور المنكرة يجزيها الله بالعذاب والشقاوة ويقطع دابر فاعلها .

« سأل وانغ سون قائلا : ما معنى هـذا المثل : التملق لإلـه التنور أفضل من التملق لإلـه الزوية الغربية الجنوبية من البيت ؟ قال الأستاذ : كلا ! من أجرم نحو السماء فلا محل له بالدعاء[1] » . الثالث من الـكتاب .

يدل هذا القول على أن السماء لها الحق في الجزاء بالخير والشر ، وأنها تجزي الأعمال السيئة التي تخالف أوامر السماء وإرادتها بالشر والعذاب وأنه لا يستخيرها من يخالف أوامرها ولا يستغفرها

(١) كونغ پي ليو وهوان طي وأهل كوانغ أعداء كونفوشيوس وتلاميذه الذين يعرقلونهم في سبيل نصر الحق والعدل .

(١) كان وانغسون جيا وزيراً مستبدا شبه نفسه بإله التنور وشبه أميره بإله الزاوية الغربية الجنوبية للمنزل الذي لا شأن له في أمور الدولة ومراده أن يقول لـكونفوشيوس تملق لي إن أردت الوظيفة لأن أمور الدولة كلها في يدي ولا تتملق للأمير الذي ليس له شأن في الدولة فقال له كونفوشيوس : كلا ! إن الأمور كلها في يد السماء (أي في يد الملك) لا في يد غيرها

ولا يطلب منها رحمة ولا نعمة .

« لما اشتد مرض الأستاذ طلب منه تس لو أن يسترحم له الآلهة . فقال الأستاذ : هل فى ذلك أصل فأجابه نعم! لقد ذكر فى كتاب التكهن القديم : أسترحم لك آلهة السماء والأرض . قال الأستاذ : لقد استرحمت منذ زمن بعيد » . السابع من الكتاب

يدل هذا الكلام على أن الأمراض عذاب الله الذى يجزى به الأعمال الفاسدة ، كما انتشرت هذه الفكرة عند قدماء الصينيين ، وكذلك استرحام آلهة السماء والأرض عند المصائب عادة من عاداتهم القديمة . لكن كونفوشيوس يعرف أنه على حق فى كل أعماله لم يخرج عن حدود الله ولم يخالف أوامره أبداً فلذلك أجاب تلميذه بقوله : لقد استرحمت منذ زمن بعيد . لأنه ينكر فائدة الاسترحام للعاصى والشرير الذى لا يمتثل بأوامر الله ولا يجتنب عن نواهيه وهو معتقد اعتقاداً جازماً أن الاسترحام إنما بالأعمال الصالحة والأفعال الحسنة لا بالعبادة ولا بالقرابين . يقول جوان تس أحد العلماء المعاصرين لكونفوشيوس : « مرض كونفوشيوس فأراد تس كونغ أن يتكهن له فقال له كونفوشيوس : على رِسْلِكْ ! إنى لا أجترىء ولا أتقدم فى مجلس وكان اعتكافى وحياتى كما إذا كانت فى أيام الصوم وكان طعامى وشرابى كما إذا كانا للقربان فقد تكهنت منذ زمن بعيد » . هذا الكلام قريب مما فى كتاب الحوار أتينا به ليوضح المعنى الذى نحن بصدده .

٧ — الخاتمة

هذه هى خلاصة مذهب الكونفوشيوسية فى الآلهة والملائكة والأرواح والإله الأعلى وهو السماء ، وهذا المذهب ليس بجديد بالنسبة إلى عقائد القدماء الصينيين بل هو عينها ولم يكن كونفوشيوس بمجدد للدين القديم لأهل تلك الأزمان الغابرة بل هو قاص لما يحتويه وحاكيه على ضوء من العلم الذى يعرفه فى ذلك الوقت وقد قال بنفسه :

« إنى راوية غير منشىء ومصدق للسلف ولذا أشبه نفسى بجترئاً بصالحنا القديم بانغ » . السابع منه .

فهو فى هذه الناحية من المحافظين على التقاليد القديمة والمقلدين لما عليه الآباء .

والمذهب الكونفوشيوسى منتشر فى أنحاء الصين كلها معمول به إلى الآن ؛ وهو الذى يسمى بالديانة الكونفوشيوسية وهو فى الحقيقة الدين الصينى القديم كما بينا .

والآن قبل أن نختتم هذه المقالة يجب أن يدرك القارىء العزيز ثلاثة أمور متصلة بالموضوع وهى :

(١) أن ما لخصنا من المذهب الكونفوشيوسى فى الإله والآلهة كله من كتاب الحوار الذى دونه تلاميذه أو تلاميذ تلاميذه. وأما الكتب القديمة التى لخصها الأستاذ الفيلسوف كونفوشيوس فقد ذكرت فيها هذه النظريات وزيادات كثيرة تبين صفات السماء وغيرها من الآلهة أكثر وأوضح ؛ فإذا سنحت لى الفرص فقد أكتب عنها مقالة أخرى إن شاء الله تعالى .

(٢) نظرية ألوهية السماء موجودة فى الأمم القديمة ، وكذلك نظرية وجود إله أعلى خالق الكون ومدبره موجودة فى الأديان المنتشرة ، ليست الصين هى التى تتكلم عنها وحدها ولا كونفوشيوس بشرها وحده . لقد وجدت أيام كونفوشيوس فلاسفة كبار فى الصين وغيرها يبحثون عن هذه المسألة فإذا أتيحت لى الفرصة فسأكتب عن فلسفة لَوْزْ فى نظرية الإله الظاهر بنفسه المتبين بأفعاله وهو الطبيعة نفسها ونظرية مَيْزْ فى الإله الكامل الصفات الفاعل الأفعال العليم القدير الذى يشبه ما جاء فى الإسلام كثيراً جداً وآراء الفلاسفة الصينيين الآخرين إن شاء الله تعالى .

(٣) النقطة الأخيرة التى أريد أن أبينها هى أن عبادة الكونفوشيوسيين وصيامهم ليستا كما جاء فى الدين الإسلامى فهم يعبدون الآلهة والأرواح بثلاث سجدات مع ركعة واحدة أو تسع سجدات مع ركعات ثلاث وهم يصومون عن أكل اللحوم والأفعال الفاحشة والأقوال الكاذبة لابسين لباساً وقوراً بعد غسل جديد معتكفين فى المنزل وقتاً من الزمن ثم يعبدون فى المنزل أو المعبد بعد صيام ساعات أو أيام ويقدمون القرابين وهم فى ذلك كله كالبوذيين الذين يعبدون الأصنام مع فرق أن الأولين ليست لهم التماثيل وقد ينصبون النصب الخشبية التى كتبت عليها أسماء الذين يعبدونهم أو نقشت عليها كلمة « عرش السماء والأرض والملك والآباء والأساتذة » ويعبدونهم كأنهم حاضرون .

أبو بكر هوغانجين الصينى

لا تحـــزن . . . !

[مهداة إلى صديق متشائم ...]

للدكتور عبد الوهاب عزام

هذه أبيات لحافظ الشيرازى الشاعر الفارسى ترجمتها نظما. وحافظت فيها على وزن الأصل وقافيته لأجعلهما مثلا لما فى الشعر الفارسى من أوزان وقواف :

فأما الوزن فهو الرمل المثمَّن أى ذو التفصيلات الثمان . والمعروف فى العربية أن الرمل لا يزيد على ست تفعيلات . وأما القافية فهى المردوفة : والرديف فى العروض الفارسى كلمة ، وكلمات تكرر فى أواخر الأبيات فيلتزم قبلها روىّ يعتمد عليه النظم :

يوسف المغفور فى أوطانه ، لا تحزن
عائد يوماً إلى كنعانه ، لا تحزن
بيتُ الأحزان تراه عن قريب روضة [1]
يضحك الورد على بنيانه ، لا تحزن
رأسك الأشعث يوماً سوف يلقى ذنبه
ويُفيق القلب من أحزانه ، لا تحزن
هذه الأفلاك إن دامت على غير المُنَى
لا يدوم الدهر فى حدثانه ، لا تحزن
أيها البلبل يأتيك ربيع ناضر
تستظل الورد فى أغصانه ، لا تحزن
لست تدرى الغيب فى أسراره لا تيأسَن
كم وراء السِرّ من ألوانه ، لا تحزن
وإذا جُزت إلى الكعبة يوماً مهمها
فدهاك الشوك من سَعدانه ، لا تحزن
ومُحيل لحال يدرى حالنا بين العدى
والهوى والحبّ فى هجرانه ، لا تحزن
يا فؤادى إن يسِل بالكون طوفان الفنا
فُلك نوح لك فى طوفانه ، لا تحزن
منزلٌ جِدّ مخوف ومراد شاحط
لم يدُم فجّ على ركبانه ، لا تحزن
حافظٌ ! ما دمت فى الفقر وليل حالك
فى دعاء الله أو قرآنه ، لا تحزن

(١) بيت الأحزان : بيت اتخذه يعقوب ليعتكف فيه حزناً على يوسف.

السراب الاخـير . . .

للدكتور ابراهيم ناجى

يا سجين الحياة أين الفرار ... أو صدّ الليل بابه والنهار
فَلِمَن لفتةٌ وفيم ارتقاب ... ليس بعد الذى انتظرت انتظار
والتَّعِلاّتُ من هوى وشباب ... قصةٌ مُسدلٌ عليها الستار
وَهَبِ السجن بابه صار حراً ... لك ، لا حائلٌ ولا أسوار
وعفا القيد عنك كفاً وساقاً ... فإذا الأرض كلها لك دار ...
أينَ أينَ الرحيل والتسيار ... بَعُدتْ شقةٌ وشط المزار
والخطى المثقَلات باليأس أغلا ... لٌ لساقيك والمشيب عثار
دون ما تبتغى دماءٌ وشوكٌ ... والسراب الذى ترى والقفار
ما الذى يصنع العليل المسجَّى ... قد تولى العُوّاد والسمّار
طال ليل الغريب ، وامتنع الغمـ ... ـضُ وفى المضجع الغضَى والنار
ما انتفاع الفتى إذا عَفَت الجنـ ... ـةُ واجتاح دوحَها الإعصار !
عشت حتى أرى خمائل حبى ... تتهاوى كشامخ ينهار
تحت عينى ! ويذبل الحسن فيها ... ويموت الربيع والأنوار . . .
ما انتفاعُ الفتى بموحش عيش ... بقيت كأسه وطاح العقار
وبقاء البساط بعد الندامى ... كأس سُمّ بها يطوف البوار
كل ما سرّ مرّ مختصراً ... كالظل أوقاته قلال قصار
واستمرّ المرير دون اختصار ... كيف يرجى لما يسوء اختصار
ما انتفاعى وتلك قافلةُ العـ ... ـيش وفى ركبها الظما والدمار
الدمار الرهيب والعَدَم الشا ... مل والفح واللظى والأوار
يا ديار الحبيب هل كان حُلماً ... ملتقى دون موعدٍ يا ديار !
يا عزيز الجنى عليك سلام ... كيف جادت بمثلك الأقدار
بورك الكَرْم والقطوف وأوقا ... تٌ كأن العناق فيها اعتصار
كلما أطلقتْك كفى استردتْك ... كما يحفِزُ الغريمَ الثارُ

في العـــــربة ...

الأستاذ أحمد أحمد العجمي

ركبتها فقمت أســـى إليها   وتهادت ونحن فى جانبيها
ومضت تنهب الطريق وتختا   لُ عليه مثل اختيالى عليها
لم لا أزدهى وعن جانبى شم   س كأن الشموس ملك يديها
أشرقت بالجمال فى وجنتيها   وبسحر الدلال فى مقلتيها
وتجلت كريبة الحسن ما أحـ   ـلَى فتوناً يطل من ناظريها !

ومضينا وللعيون حواليـ   ـنا نطاق كأننا ما مضينا !
فى طريق تسابق الدوح صفَّيـْ   ـن إلينا بالظل يحنو علينا
ونسيم يسيل كالعـــطر حيًّا   نابه النهر وهو يجرى الهوينى
وأصيل كوجهها خجل يفـْ   ـترُّ بالحسن عسجداً أو لُجَيْنا
فتذكرت ما مضى من غرامى   أين يا قلب ما مضى أين أينا ؟

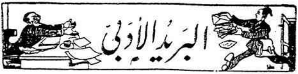
قلت مرحى يا أجمل الغادات   ألف بشرى بأجمل الساعات !
ما تزالين يا ملاكى خيالا   نابضا فى دمى بغـــير أناة
أشتهى أن أراك يوماً بعينى   وفؤادى يراك ملء الحيـــاة
والتقينا وتلك أعجب لُقـْيَا   جمعتنا فى أعجب العربات
خطرت كالنسيم حيناً وكالإعـْ   ـصار طوراً وكالرُّؤى الباسمات

والجواد الهزيل ذاك الذى شا   رَفَ عمرا قاسى به ألف عمْرِ
خفَّ يجـــرى كالسهم تلمحه العيـْ   ـنُ سريعا ولم يكن قط يجرى !
استخفَّـتْه نشـــوة فتصابى   مثلما راعنى الجمـــال المغرى
فتمنَّيْتُ لو أعانقها شوْ   قا إليها وإن تكن ملء صدرى
أمرتْـنِى بحسنها ، ونهتنى   بعفاف ، فضاع نهيى وأمرى !!

يا فتـــاتى ! أتذكرين صبيًّا   أنت علَّمْـتِه غرام الغوانى ؟
كان يلقاك فى حياءٍ غرير   حالم بالجمـــال هشّ الأمانى
يعشق الورد فى الغصون ويغضى   خجلا منـه فى خدود الحسان
ثم أصبحت من شبابى وأشجا   نى كأنى أعيش فى بركان !
الصبا كالندى — سلام عليه !   والشبابُ المنيفُ كالطُّوفان

سألتنى : ألسْتَ أنتَ فتانا   بعد ما كان من هواك وكانا ؟!
أو لست الذى تغنى بنجوا   نا وصاغَ البيان فينا جمانا ؟
قلت : لولاك ما نظمت أغاريـ   ـدى ورقرقت هـذه الألحانا
أين أيامنـــا وأين ليـــاليـ   ـنا وأين المنى وأين هوانا ؟
وصِبانا والدهر وقفٌ علينا   ونعيم الحيـاة خلف خطانا ؟

وغدا الدهر شارداً معجل الأو   قات يجرى مثل الجواد الجموح
وقفةً يا جوادُ إن لهيب الشـ   ـوق يغلى به دمى وجروحى
وقفةً وقفةً أُهَدْهِدُ أحشا   ئى بريَّا هذا الجمال الصَّبوح
لم لا ترتوى به كَبِدٌ حَرّ   ى وقلب كالطائر المجروح ؟
ثم عانقتهـــا وقبَّلْتها عشـْ   ـراً كأنى قد انتقمت لروحى !!
وانتشينا وقلت للنفس غنِّى   وافترقنـا فقلت للنفس نوحى



حنين الزوج — من قصص جحا

[للأستاذ كامل كيلاني]

صفحة مختارة من المخطوط الجحوي النفيس الذي عثرت عليه ولعله مكتوب بخط صاحبه أو أحد معاصريه.

قال : « أبو الغصن عبد الله دُجَين بن ثابت » الملقب « بجحا » :

« لم يلبث الظلام أن خيم على المدينة وساكنيها ، وأطفئت الأنوار ، وسكنت الجلبة والضوضاء ، وساد الصمت ، وتلألأت النجوم في السماء ، ورددت الكلاب نباحها كلما طرق آذانها صُوت ، أو أحست نأمة أوشعرت بقادم

أما بيت « أبي الغصن جحا » ، فقد أوحش (أي : خلا من ساكنه) ، فجلست « ربابة » زوجه ، أمام مِغزلها — بعد أن نام ولداها وجارتها — تفكر في ذلك الغائب الذي كان يملأ بيتها بهجة وسعادة . وظلت تغزل وهي تسلي نفسها بالأنشودة القديمة التالية :

يا طير ، يا أشجار ، يا روضة   فيها من الفردوس أزهارُ
يا خيط ، يا إبرة ، يا مِغزَلي ،   يا نجم ، يا كوكب ، يا دار
يا نحل : طني واملئي مِسمعي ،   وحدثي قلبي: « متى ساروا ؟ »
سافر ربُّ الدار عن داره ،   وقد خلت من أُنسه الدار

* * *

عنـاية الله ، وتوفيقـه   ولطفه ، صحب وسمـار
والشمس والبدر ونجم السما   تحوطه منهن أنوار
يا نحل طني واملئي مسمعي   وحدثي قلبي : متى ساروا ؟
سافر رب الدار عن داره   وأوحشت من بعده الدار

* * *

يا ورد ، يا ريحان ، يا نرجساً   يحفه نور وأنوار
يا ملء داري وفؤادي معاً   قد فرقتنا عنك أقدار
يا نحل طني واملئي مسمعي   وحدثي قلبي متى ساروا
سافر رب الدار عن داره   وأظلمت من بعده الدار

* * *

عاد فراغاً كل شيء هنا   منذ ترامت بك أسفار
متى يرى الدار وسكانها ؟   متى تراه هذه الدار ؟
يا نحل طني واملئي مسمعي   وحدثي قلبي متى ساروا ؟
سافر رب الدار عن داره   فهل تسلى عنه ديَّار ؟

كامل كيلاني

خطأ شائع :

جاء في (الرسالة ٦٣٧) في مقالة «القطبان الأرضيان والإسكيمو» ما نصه :

« وأمر الخليفة المأمون ببناء مرصد فلكي فوق جبل قاسيون في دمشق ، وبقيت آثاره حتى دخول الحلفاء إلى سوريا سنة ١٩٤١»

وهذا خطأ شائع تلقيناه قديماً عن معلمينا ، واشتهر على ألسنة عامة أهل الشام وخاصتهم ، وقد فتشت عن سند له من رواية ثابتة أو نقل يعتمد عليه فلم أجد ؛ والصواب ما ذكره ابن طولون مؤرخ الشام في كتابه « تاريخ الصالحية » ، وهو من أجل مخطوطات المكتبة الظاهرية في دمشق قال عند الكلام على هذه القبة :

« وهي من بناء نائب الشام برقوق الذي دخل دمشق في ٧ جمادى الأولى سنة ٨٧٥ دخولا عظيما ، ثم خرج لقتال سوار بك فأخذه غدراً وعاد إلى دمشق ١٣ صفر ٨٧٧ وبنى هذه القبة وسماها « قبة النصر » . (أقول : وبقي ذلك اسمها إلى أن هدمت من ثلاث سنين) . وكان برقوق هذا سفاكا فتاكا مات في ١٢ شوال سنة ٨٧٧ هـ وصُبّر[1] وحمل إلى مصر فدفن في القاهرة قرب الرميلة كما وصى » اهـ

وهذه القبة كانت على ظهر جبل قاسيون تعلو سطح البحر بنحو ألف ومئتي متر ، وكانت علم دمشق يراها القادم على البلد من مشارف حوران

* * *

(١) صبر : أي حنط ، وهذه الكلمة العربية باقية في ديارنا الشامية تستعمل في هذا المعنى (ناجي)

وفى العدد (٣٨٠ من الرسالة) سؤال عن هذه القبة ، والقبة الأخرى القائمة على الجبل المطل على وادى الربوة فى دمشق ، ولم يجب عليه أحد ، وهذا الجواب

أما القبة الثانية المسماة (قبة السيار) ، فهى من بناء الأمير سيار الشجاعى

(دمشق) **ناجى الطنطاوى**

ابن عياش لا ابن عباس :

الاستدراك الذى أخذه علينا الأديب الفاضل على جلال الدين شاهين صحيح ومقبول ؛ ولكن منشأ اللبس يعود إلى تصحيف وقع فى كلتنا ولم نتكلف تصحيحه . والقصة التى سجلها صاحب نشوار المحاضرة ، عن قرّاد شارع الخلد ببغداد ، إنما تنسب إلى « ابن عياش » لا ابن عباس . وإلا فأين يقع زمن هذا الأخير أو مكانه ، من بغداد وشارع الخلد على عهد العباسيين ؟

وابن عياش كان من رجال الدولتين : ولد فى أيام سليمان بن عبد الملك (عام ٩٧ هجرية) وتوفى قبل وفاة الرشيد بشهر (عام ١٩٣ هـ) . وهو المحدث الثقة أبو بكر بن عياش الكوفى . اختلف فى اسمه ، وأشهر ما قيل فى ذلك « شعبة » ثم « مطرِّف » وكان من أصحاب عاصم والكلبى ، ومن رواة شعر الفرزدق وذى الرمة ، روى عنهما شعرهما سماعاً

وامتداد الحياة بابن عياش إلى آخر عهد الرشيد لا يوجد شكا فى أنه شهد بعينيه ما كان يجرى على الوزراء فى ذلك العهد من نكبات الزمان ، مع الإقرار بأن هذه الحوادث كانت لا تزال آخذة بسبيل التزيد والانتشار ، حتى لم تبلغ ذروتها ، وتستكمل صورتها البشعة إلا فيما تلا ذلك من عصور

فقصة القراد البغدادى غير مستبعدة على هذا الوجه ، ولاسيما إذا ذكرنا أن ابن عياش كان من ثقاة المحدثين ، الذين لا يفترون ولا يفترى عليهم ، وقد وثّقه أحمد بن حنبل . كما كان من أهل الوقار والهيبة حتى لقالوا : إن الاختلاف فى اسمه يرجع إلى كف الناس عن سؤاله تهيباً له .

هذا ، ودقة العبرة ولطف المغزى فى القصة يجعلنا لا نستبعد نسبتها إلى ابن عياش ، إذ كان الرجل من أهل الفكرة العميقة ، الذين يتلمسون من صغائر الحوادث جلائل العبر . وكان لا يستنكف أن يستقصى أنفه الأمور ، ويتتبع أضيق المسالك فى سبيل الوصول إلى حقيقة صغيرة يضيفها إلى ما تستوعبه نفسه من مباهج العلم ومفاتن المعرفة . حدث أبو هاشم الدلال قال : رأيت أبا بكر بن عياش مهموماً ، فقلت له : مالى أراك مهموماً ؟ قال : سيف كسرى لا أدرى إلى من صار ! !

محمود عزت عرفة
المدرس بقوص الأميرية

من الشعر الضائع لحافظ ابراهيم

عثرت فى بعض أوراق القديمة على هذه الأبيات نقلا عن بعض الصحف القديمة لتشابه الفكرة بينها وبين ما قاله برنارد شو عن الهرم وأبى الهول . وقد راجعت الديوان فلم أجدها ، لذلك أثبتها هنا فى مجلة (الرسالة) التى تحفظ الأوابد :

سخر العالم ليبنى آية ... فوق شط النيل تبدو كالعلم
هى ذكر خالد لكنه ... عابس الوجه إذا الذكر ابتسم
كل ما فيها على إعجازها ... أنها قبر لجبار حُطم
ليته سخّر ما فى عهده ... من قوىّ فى غير تقديس الرمم
من فنون أعجزت أطواقنا ... وعلوم عندها الفهم وجم
وبنان مبدعات صورت ... أوجه العذر لعباد الصنم
أبدعت ما أبدعت ثم انطوت ... وعلى أسرارها الدهر ختم

عبد القادر محمود



دوامة الحيــــاة

للكاتب الأمريكي الكبير ا. هنري [١]

بقلم الأستاذ وديع فلسطين

عند باب مكتبه جلس « بناجا ويدپ » ، القاضي ، يدخن غليونه الضخم ويرسل نظراته إلى جبال كمبرلند التي كساها ظلام الأصيل لونا أغبر يميل إلى الزرقة . ومن الطريق العام المنحدر بالقائطة ، جاءت دجاجة رقطاء تختال وتصيح صياحا أحمق .

وانبعث من أعلى الطريق صوت صريف عجلات ، وامتلأ الجو بغبار حجب ما وراءه من مشاهد الطبيعة ومجاليها ، ثم بدت مركبة يجرها بغل تحمل «رانسى بلبرو» وزوجته . وقفت المركبة بدار القاضي ، فترجّل عنها الرجل وزوجه . وكان رانسى أهيف القدّ ، شاحب البشرة داكنها ، ذهبي الشعر ، يبلغ طول قامته ستة أقدام ، تجلله مهابة سكان الجبال فتضفي عليه كساء شبيهاً بحلة من حلل الحرب المدرّعة . وكانت المرأة ساذجة ضجرة ، تخامرها رغبات غامضة لا تنفك تضايقها ولا تفتأ تقض مضجعها . وبدا من خلال تصرفاتها نوع من الاحتجاج الطفيف على الشباب الزائف الذى تفطن إلى فقدانه . وبسرعة دسّ القاضي قدميه فى نعليه ليزداد وقاراً ؛ ثم تحرّك ليفسح لهما الطريق . وقالت المرأة بصوت كصوت الريح حينما تداعب فروع الأشجار : « نريد الطلاق » . ثم رمقت رانسى بنظرة فاحصة لتتبين هل لاحظ فى تصريحها هذا عيباً أو غموضاً أو مراوغة أو تحيزاً أو مشايعة لنفسها فأومأ رانسى برأسه مؤكداً وردد : « طلاق ... لم نعد نستطيع أن نعيش معاً ، الحياة فى الجبال مقفرة وتقتضى أن يعنى كل من الرجل والمرأة بشؤونهما . ولكن متى شرعت المرأة تموء كالقط الوحشي ، وتنعق كالبومة النحس فى كوخ زوجها ، فلن يجد الرجل سبباً يحمله على معاشرتها » .

وقالت المرأة دون اكتراث : « حين لا يعبأ الرجل بنفسه ويقضى وقتـه فى شرب الخمور واحتساء الويسكى ومعاشرة مقطّريها ، ويعنى فضلا عن ذلك بعدد من كلاب الصيد ... » . فقال رانسى : « حين أن تدأب المرأة على أن تبعثر أغطية الطعام ، وعلى صب الماء على أحسن كلب فى كمبرلند ، وعلى إعادة طهى ما كولات زوجها ، وحمله على السهر ليلا متهمة إياه بتهم شتى ... ..! » . « حين يدأب على تبديد دخله والتمتع بسمعة رديئة فى الجبال والسهر ليلا ... » ، فانصرف القاضي إلى مهامه . وقدّم مقعده الوحيد وكرسى مطبخ إلى زائريه . ثم فتح كتاب الأحوال الشخصية على المنضدة وألقى نظرة على محتوياته ومسح منظاره وأزاح المحبرة . ثم قال : « القوانين والأحوال الشخصية لا تقول شيئاً فى شأن موضوع الطلاق . هذا فيما يتعلق باختصاصات هذه المحكمة . ولكن العدالة والدستور والقانون الذهبي تنطوى جميعها على مساومة من ناحية واحدة فقط . فبدهي أن القاضي الذى يستطيع أن يزوّج رجلا وامرأة يستطيع أن يطلقهما ، وهذا المكتب هنا سيصدر شهادة طلاق تقرها المحكمة العليا » . وأخرج رانسى بلبرو من جيب سرواله علبة طباق صغيرة ونثر منها ورقة من فئة الخمسة دولارات على المنضدة وقال : « لقد بعت جلد حيوان وفراء ثعلبين بهذا الثمن ، وهو كل ما أملك » .

فقال القاضي : « إن الرسوم العادية للطلاق فى هذه المحكمة هى خمسة دولارات » وتناول الورقة المالية ودسّها فى جيب الصديرى المنسوج فى المنزل ، وتصنّع عدم المبالاة . وكتب شهادة الطلاق على نصف ورقة فولسكاب ثم أعاد كتابتها على النصف الآخر ، وبلغ فى هذا جهد جسمياً كبيراً وتفكيراً ذهنياً مبرحاً . وأنصت كل من رانسى بلبرو وزوجته إلى تلاوته للوثيقة التى سوف تمنحهما الحرية : قال : « ليعلم الناس جميعاً بمقتضى هذه الشهادة أن رانسى بلبرو وزوجته أريلا بلبرو حضرا اليوم إلىّ شخصياً وتعهدا ابتداء من اليوم بأنهما لن يحبا أو يحترما أو يطيع أحدهما الآخر سواء أكان ذلك للخير أم للشر . وأقرّ بأنهما يتمتعان بجسم وعقل سليمين وأنهما قبلا شروط الطلاق حسب

---

(١) O. Henry

نظام الولاية ووقارها . فلا تمترا وليعينكما الرب ... الإمضاء ... بناجا ويدب القاضي لمقاطعة بيد مونت بولاية تنيسي ومن أهلها »

وهمّ القاضي بتسليم إحدى الوثيقتين إلى رانسي حينما ارتفع صوت أريلا . فنظر كلٌّ من الرجلين إليها وفوجئا بما لم يكونا يتوقعان منها . فقد قالت : « مهلا يا سيدى القاضي ، لا تسلّمه هذه الورقة . لم تُسَوَّ كل شيء بعد . ينبغي أن أنال حقوقي أولا . يجب أن أحصل على نفقتي أولا ، ليس هذه هي طريقة طلاق رجل من امرأته دون أن يترك لها ما لا تعيش به . إنني سأذهب إلى أخي « إيد » في جبل هوجباك ، وأريد أن أشتري زوج حذاء وبعض الأشياء الأخرى ، وإذا كان رانسي يقدر على طلاقي ، فدعه يقضي لي نفقتي » . فصُعق رانسي بلبرو وتملكته الحيرة ولم يتكلم . فلم يشر من قبل إلى موضوع النفقة . ومن عادة النساء أن يثرن مسائل عجيبة غير مدروسة . وأحسّ القاضي بناجا ويدب أن المسألة تحتاج إلى قرار قضائي . والتزم الطرفان الصمت في موضوع النفقة ، غير أن قدمي المرأة كانتا حافيتين والطريق في جبل هوجباك صخر وعر . فسأل القاضي في أسلوب رسمي : « يا أريلا بلبرو — كم يعوزك من النفقة في القضية المنظورة أمام المحكمة ؟ » .

فأجابت : « أريد أن أبتاع حذاء ، فيلزمني نحو خمسة دولارات ليست هـذه نفقة كبيرة ، ولـكني أعتقد أنها تكفي لأتوجه إلى منزل أخي « إيد » ... » . فقال القاضي : « المبلغ معقول يا رانسي بلبرو ، المحكمة تأمرك أن تؤدي إلى المدّعية خمسة دولارات قبل أن يصدر قرار الطلاق » . فتنفس رانسي بصعوبة وقال : « ليس لدى مال ... وقد أديت إليك ما كان معي » . فحدق القاضي مَن وراء منظاره ، وقال بعنف : « وإلاّ فأنت تزدرى بالمحكمة » .

واستأنف الزوج قائلا : « أعتقد أنه يمكنك أن تقرضني المبلغ وسأرده إليك غداً بأي كيفية ... فإني لم أتوقع قط أني سأطالب بنفقة » . فقال القاضي بناجا ويدب : « أجلت القضية إلى الغد حينما تأتيان إليّ معاً وتمتثلان لأوامر المحكمة . وعقب ذلك سنصدر الطلاق » . ثم جلس إلى جانب الباب وأخذ يحلّ رباط حذائه ...

فقال رانسي : « يمكننا أن نذهب إلى منزل « العم زيا » لنقضى الليل فيه » ثم ركب المركبة من ناحية وركبتها أريلا من الناحية الأخرى . وشدّ اللجام فتحرّك البغل البنّي اللون ببطء ثم أخذت العربة تنهب الأرض حتى اختفت وسط الغبار المتصاعد .

وأشعل القاضي بناجا ويدب غليونه العتيق ، واشترى جريدته الأسبوعية ، فقد أوشك النهار أن ينقضي ، وشرع يقرؤها حتى طمس الظلام سطورها . ثم أشعل قنديله على المنضدة ، وأخذ يقرأ حتى طلع القمر مؤذناً بحلول موعد العشاء . وكان يسكن كوخة الخشبي في المنحدر على مقربة من الغابة . وفي طريقه إلى منزله اجتاز منطقة تظللها أشجار الغار المتشابكة . وإذ ذاك برز من بين الأشجار شبح ملثم وسدد إلى صدره غداره ، وهو يقول ، « أريد أمو الك . لا أريد كلاماً . إني عصبي وإصبعي على زناد الغدارة ... » .

فقال القاضي متلعثما : « ليس معي سوى خمسة دولارات » .

ثم أخرجها من جيب الصدري . وصدر الأمر إليه : « إطوها وضعها في فوّهة الغدارة » . وكانت الورقة المالية جديدة رقيقة . غير أن الأصابع المرتخية المرتعشة وجـدت بعض العناء في طيّها ووضعها في فوّهة الغدارة » . فلما تم هـذا مال اللص : « الآن تستطيع أن تمضى » . فسار القاضي مهرولا ، لا يلوى على شيء .

* * *

وفي اليوم التالي جاء البغل البنّي الصغير يجرّ المركبة ووقف بباب المكتب وكان القاضي بناجا ويدب منتعلا حذاءه ، إذ كان يتوقع زيارة . وترجّل رانسي بلبرو وزوجه ، وقدم إليها في حضرة القاضي ورقة مالية من فئة الخمسة دولارات . فحدقت عينا القاضي في الورقة ، وكانت مطوية كما لو كانت منتزعة من فوّهة غدارة . غير أن القاضي التزم الصمت لأنه ليس ثمة ما يمنع من أن تطوى أي ورقة مالية . وسلم كلا منهما نسخة من شهادة في الطلاق . ووقف كل منهما صامتاً يطوي قسيمة الحرية على مهل . وحدجت المرأة رانسي بنظرة خجولة مفعمة بالعواطف ، وقالت له : « أعتقد أنك سيتعود إلى الكوخ بالمركبة . ستجد الخبز في العلبة الصفيح الموضوعة على الرف . ووضعتُ الدهن في إناء الغلي حتى لا تصل إليه الكلاب . لا تنس أن تملأ ساعة الحائط الليلة » .

واستفهمها رانسي في شيء من الإهمال : « وأنتِ ، هل تذهبين ! إلى منزل أخيك « إيد » ؟ » .

— كنت أنوى أن أذهب إليه قبل حلول المساء . لن أقول ، لأنى سأزعج أهل أخي ، وأحملهم على الترحيب بمقدمي ، ولست أعرف مكاناً آخر أقصده . على كل حال من واجبه أن يرحب بي إني ماضية . هل أقرئك السلام يا رانسي هذا إذا لم تمانع ؟ » .

فأجاب رانسي بلهجة الرجل الذي ذهب ضحية : « ولمَ لا أقرئك السلام ، إلا إذا كنتِ تواقة إلى الفرار مني دون انتظار

تحية ما » . فالتزمت أريلا الصمت . وطوت الورقة المالية من فئة الخمسة دولارات وقسيمة الطلاق ووضعتهما فى صدر ردائها . وراقب بناجا ويدب الورقة المـالية وهى تختفى بعينين حزينتين تطلان من وراء زجاج منظاره . وهنا قالت أريلا : « ستكون وحيداً الليلة فى الـكوخ يا رانسى » . وحدّق رانسى بلبرو بعينيه فى الأفق إلى جبال كمبرلند ، فرآها وقد كساها ضوء الشمس لوناً أزرق قاتماً ؛ ولم ينظر إلى أريلا وقال : «لا ريب فى أنى سأكون وحيداً ، ولـكن ما العمل وقد ركب الجنون عقل البعير وطلب الطلاق ؟ لا سبيل إلى حمل البعير على البقاء » . فقالت أريلا وعيناها إلى كرسى المطبخ : « إنما طلب الطلاق غيرى . وليس هناك من لا يرغب فى البقاء » — « لم يقل ذلك أحد قط » .

- « أعتقد أنه يحسن أن أتأهب لزيارة أخى إيد » .

— « ولـكن أحداً لا يستطيع أن يملأ ساعة الحائط ؟ » .

— « هل تريدنى أن أعود معك فى المركبة لأملأ الساعة يا رانسى ؟ » . وكانت ملامح رجل الجبال برهاناً ضد عاطفته . غير أنه مدّ يداً ضخمة إلى أريلا وقبض بها على يدها الرقيقة الداكنة . فانفرجت أسارير وجهها العبوس مرة ثانية .

وقال رانسى : « لن تعود الـكلاب إلى إزعاجك . فقد أدركت أنى كنت سافلا دنيئاً . ستملأين تلك الساعة يا أريلا » .

فهمست له : « إن قلبى يدق فى هذا الـكوخ يا رانسى . هيا معك . لن أعود إلى جنونى ثانية . دعنا نرحل يا رانسى حتى نبلغ البيت قبل مغيب الشمس » .

وتدخل بناجا ويدب القاضى لما رآهما يتأهبان للرحيل وقد نسيا وجوده فقال : « باسم ولاية تنيسى أمنعكما جميعاً من العبث بقوانينها ونظمها . إن هذه المحكمة على استعداد كبير ، بل ويسرها أن ترى سحابات الخصام وسوء التفاهم وقد انقشعت من قلبين شابين يتبادلان الحب ، ولـكن من واجب المحكمة أن تحرص على الأخلاق وعلى الاستقامة فى الولاية . وتذكركما المحكمة أنكما لم تعودا رجلا وزوجته ، وإنما أنتما مطلقين بقسيمة رسمية ، فلستما إذن أهلا للتمتع بمزايا الشركة الزوجية » . ومضى القاضى فقال : « غير أن المحكمة على استعداد لأن تلغى القيود التى فرضتها قسيمة الطلاق . فالمحكمة على استعداد لأن تعترف بمراسيم الزواج الشريفة السامية التى يبغيانها . ورسوم مراسيم الزواج قدرها فى هذه الحالة خمسة دولارات

وتبينت أريلا فى حديثه وميضاً من الأمل . فأسرعت بوضع يدها فى صدر ثوبها وألقت بالورقة المالية على منضدة القاضى . وتلوّن خدّاها الشاحبان وقد وضعت يدها فى يد رانسى ينصتان لحديث اللقيا . ثم ساعدها رانسى على ارتقاء المركبة ، وركب جوارها ، ودار البغل البنّى الصغير مرة أخرى ، واتخذ وجهته شطر الجبال وقد التقت كفاهما وتعانقتا . وعاد القاضى بناجا ويدب إلى الجلوس عند باب مكتبه ، وخلع نعليه . ثم تناول الورقة المالية مرة أخرى ودسّها فى جيب الصديرى . وكخّن غليونه العتيد مرة أخرى . وللمرة الثانية جاءت من الطريق العام المنحدر « بالمقاطعة »[1] دجاجة رقطاء تختال وتصيح صياحاً أحمق .

وديع فلسطين

(١) يلاحظ هنا أن كلمة مقاطعة لها أكثر من معنى واحد . وفى الإنجليزية Schlement وهى كذلك أكثر من معنى واحد (وديع)